مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

خارج الاطار

1

بورتريه قطة سوداء

تأليف / السيد الجندي

روايات مصرية

سلسلة خارج الاطار

1

بورتريه قطة سوداء

تأليف / السيد الجندي

خارج الاطار

الحياة عبارة عن صور متلاحقة متتابعة في حياتنا المستمرة

كل لحظة تمر علينا تشكل لوحة

وكل لوحة تحكي قصة في بورتريه

لكن لوحاتنا وبورتريهاتنا تكون دائما خارج الاطار

اللوحة تقفز من اطارها التقليدي وتسبح في سماء الخيال

بلا اطار محدد

لا يوجد تصنيف محدد لهذه السلسلة

فقد تشتمل على الرعب والرومانسية والخيال العلمي والفنتازيا

كما انها لا تلتزم ببطل محدد

فلكل بورتريه بطله الخاص المتفرد

تأخذنا خارج الاطار معها

وعلينا ان نكون معها دائما ونتحرر من اطرنا الخاصة

وننطلق معها الى ما وراء الخيال

السيد الجندي

سلسلة خارج الاطار

بورتريه قطة سوداء

تأليف / السيد الجندي

الفصل الاول

في يوم من ايام اواخر الخريف , ومع تطاير اوراق الشجر وذرات الرمال في كل مكان . توقفت سيارة بوجاتي ڤايرون زرقاء امام احدى ڤيلات سرايات المعادي , وخرج منها شاب وسيم اشقر ازرق العينين طويل القامة, يرتدي (جاكت) من الجلد لونه ازرق , خلع نظارته الشمسية وهو يبتسم متجها الى فتاة في العشرينات تقف امام الڤيلا وحياها بيده قبل ان يتقدم منها قائلا : - اهلا سحر . كيف حالك؟ .. ردت سحر : - بخير يا استاذ سامح , مرحبا بك . لقد اعددت لك الڤيلا كما طلبت بالضبط , وجهزت لك كل ما يلزم من ادوات الرسم والالوان التي تستخدمها . قال سامح : - اشكرك شكرا جزيلا .. سحر :- والان تفضل معي لمشاهدة الڤيلا من الداخل .. وتقدم الاثنان الى داخل الڤيلا واخذ سامح يجول ببصره في كل ركن وبدا عليه السرور مما يرى من بهاء الڤيلا ومحتوياتها , ومضت سحر تشرح له كل شيء في المكان حتى وصلا الى ركن في الصالة الواسعة حيث كان هناك حامل وضعت عليه لوحة بيضاء من التي تستخدم في الرسم وبجواره ادوات الرسم كاملة من ألوان وخلافه , وخلف الحامل مباشرة كانت شرفة الڤيلا .. قال سامح بعد جولته مع سحر في الڤيلا :-ڤيلا رائعة . سحر :-ارجو ان تستمتع بها يا سيدي .. وغادر الاثنان الڤيلا حيث أخرج سامح بعض الادوات والاشياء الخاصة به من سيارته بما فيها حقيبة كبيرة وعاونته سحر في نقل اشيائه وبينما هما ينقلان محتويات السيارة وقع بصر سحر على لوحة زيتية جميلة يغلب عليها اللون الازرق انبهرت بها وتصورت انها لاحد الفنانين العالميين الانطباعيين او الوحشيين كما هو واضح من طريقة رسمها باسلوب ال (***IMPASTO***) فالتفتت الى سامح الذي بادلها النظرات وكانت نظراته تؤكد لها ان اللوحة من اعماله فقالت :-اهذا رسمك ؟ فهز رأسه بعلامة الايجاب بنعم فقالت الفتاة بانبهار :-اذن اسمح لي يا استاذ سامح ان احييك , انك يا سيدي فنان حقيقي ذو موهبة عالية .. لقد ظننتك مجرد هاو مبتديء فاذا بي اجد نفسي امام فنان قدير .. سامح :-اشكرك يا انسة سحر على كل هذا المديح ولكنني بالفعل مبتديء وهاو ولهذا استأجرت هذه الڤيلا كي انمي فيها مواهبي بعيدا عن ضجة العاصمة حتى اذا ما ابدعت شيئا جديدا مختلفا اقمت معرضا لاعمالي .. عادت سحر تتأمل اللوحة من جديد بانبهار ثم قالت:-اؤكد لك يا استاذ سامح ان لوحتك هذه ليست عمل هاو انها عمل رسام محترف ولا ابالغ ان قلت فنان عالمي فانت تعلم انني بحكم عملي في الڤيلات والشقق المؤجرة لدي خبرة في التحف واللوحات والاعمال الفنية وبحكم خبرتي ارى انك تستحق العالمية على هذه اللوحة التى تعيد مجد المرحلة الانطباعية في الفن التشكيلي بشكل جديد .. سامح مبتسما :-الى هذا الحد ؟ .. سحر :- اتمنى لك كل التوفيق يا سيدي وثق انك ستصبح في القريب العاجل فنانا عالميا كبيرا انا نلت شرف معرفته اولا . . سامح :- اشكرك يا سحر على ذوقك واسلوبك الراقي. . سحر :- والان اتركك يا استاذ سامح لتبدأ فنك واذا احتجت لاي شيء ما عليك الا ان تتصل بي وسأحضر لك فورا , سأساعدك في كل ما تطلب , فليس كل يوم يقابل المرء فنانا . . واوصلها سامح حتى الباب مودعا بعد ان شكرها كثيرا ثم عاد ففتح شرفة الڤيلا ووقف امام حامل الرسم لحظات مستغرقا في تفكير عميق . كان يفكر في ان يرسم موضوعا جديدا مختلفا في عالم الرسم وبينما هو غارق في افكاره سمع نباحا قويا يأتي من اسفل الشرفة فاستغرب جدا لانه يعلم ان لا توجد كلاب في الڤيلا .. ترك ما في يده ونزل

بسرعة الى حديقة الڤيلا فشاهد كلبا من كلاب الروت وايلر (***Rottweiler***) تبدو عليه الشراسه ينظر اليه نظرة مرعبة وعندما دقق سامح النظر في الكلب رأى نارا تنبعث من عينيه ففزع كثيرا وحاول ان يتراجع ولكنه ظل واقفا في مكانه يحدق في الكلب الشرس الذي كان من الواضح انه يريد ان ينقض عليه .. تغلب سامح بعد قليل على سكونه وقرر الدخول الى الڤيلا لاحضار مسدسه للقضاء على هذا الكلب الذي يريد ان يفتك به, فتحرك بهدوء دون ان يشعر الكلب انه خائف والكلب ينظر اليه وراح يمشي بظهره في اتجاه مبنى الڤيلا والكلب يتابعه ببصره , حتى اذا ما اصبح امام الڤيلا استدار بسرعة ليدخل ولكنه احس ان الكلب سيهاجمه من الخلف فعاد يستدير لمواجهة الكلب في لمح البصر لكنه عندما استدار لم يجد اي اثر للكلب في الحديقة , لقد اختفى الكلب تماما كأنه لم يكن موجودا اصلا .
دخل سامح الڤيلا وهو في قمة اندهاشه واتجه الى حامل الرسم ووقف امامه كما كان وهو يفكر في الكلب الغريب واختفائه الاغرب , وفجأة خطر له ان يكون موضوع لوحته الجديدة شيئا مرعبا كما احس بسبب الكلب ولكنه لا يريد ان يرسم كلبا وقال لنفسه في مرح :- لا نرسم كلبا بل قطة . ومع خروج الكلمة من فمه بتلقائية ابتسم واكد على الكلمة قائلا :- نعم قطة سوداء هذا موضوع جدير بالرعب . اثارته الفكرة كثيرا فبدأ على الفور في رسم بورتريه قطة سوداء حتى انتهى منها بعد ساعة من الرسم ووقف ينظر اليها عن بعد .
كانت رائعة بحق حتى شعر هو نفسه انها تكاد تقفز من اللوحة من فرط براعته في الرسم .
بدأ الظلام يحل واحس سامح فجأة بالجوع فقرر اعداد لقمة سريعة .. قام بتغطية اللوحة بقطعة من القماش الابيض ثم دخل المطبخ واخذ يعد وجبته السريعة ثم تناولها داخل المطبخ ولما انتهى غادر متجها الى مكان اللوحة واذا به يفاجأ بجوار الباب بما جعله يتجمد في موضعه . .
لقد شاهد بجوار الباب قطة . .
قطة سوداء .

****

كان موقفا مرعبا بكل المقاييس .
القطة تسلط عينيها المرعبيتن على سامح وسامح يقف متجمدا من فرط الرعب كأنه نوم مغناطيسيا من عيني القطة وبدأ يشعر ان الڤيلا بكل محتوياتها تدور به , وظن لوهلة انه في وهم كبير فدعك عينيه وعاود النظر من جديد .. كانت القطة مازالت واقفة تنظر اليه وخطر له خاطر سريع .. مد يده التي كانت قريبة من حامل الرسم ورفع الغطاء عن لوحة القطة التي كان قد رسمها منذ قليل . .
وزاد رعبه , وازداد الموقف كله رعبا عندما نظر الى اللوحة فلم يجد القطة بها
كانت اللوحة فارغة تماما كأنه لم يرسم عليها اي شيء
وترنح سامح في مكانه . .
ما هذا الذي يحدث له ؟ وما تفسير هذا الرعب الذي يعيش فيه الان ؟
واعاد تغطيه اللوحة وهو يرتجف وينظر برعب الى القطة السوداء التي كانت مازالت واقفة تنظر اليه , ثم اتجه وهو يترنح رعبا الى الدور العلوي حيث غرفة نومه واغلق الباب خلفه وارتمى على السرير في غيبوبة .

****

استفاق سامح من غيبوبته بعد 4 ساعات واخذ يتذكر كل شيء . نهض من سريره واتجه بهدوء الى الصالة . . اخذ يقترب ببط من اللوحة المغطاة وهو ينظر ناحية الباب دون ان يجد القطة التى كانت بجواره ويفكر : ترى هل كان وهما ما مر به او حلما او كابوسا ؟
ورفع غطاء اللوحة دون ان ينظر . .
كانت يده ترفع الغطاء وراسه في اتجاه اخر وهو مغمض العينين . . ثم نظر بسرعة الى اللوحة كانت كما هي تماما وبها صورة القطة التي رسمها . .
ولكنه واثق كل الثقة ان اللوحة كانت خالية , والقطة غادرت اللوحة ووقفت بجوار الباب وقرر ان يخرج قليلا للسهر في اي مكان عله يخرج من هذا الجو المخيف
غير ملابسه وارتدى بالطو من نوع الساتان الازرق بدا على قوامه الممشوق انيقا جدا ومنحه مظهرا جذابا , ولم ينس ان يأخذ معه بعض ادوات الرسم واسكتش صغير
ترك سيارته وغادر الڤيلا ماشيا .. ولمح عن بعد اضواء كافيتيريا تتلألأ فتعجب جدا . .
انه لم يلاحظ وجود كافيتيريا في هذه الانحاء .
اتجه الى الكافيتيريا بسرعة كأن قوى خفية تدفعه اليها ولاحظ قلة روادها , لم يكن هناك سوى 5 من الشباب يجلسون معا على منضدة واحدة وبجوارهم منضدة فارغة فجلس بالقرب منهم وراح يستمع الى نكاتهم وضحكاتهم ثم فتح اسكتش الرسم وبدأ يخط خطوطا على الورقة البيضاء . . كانت الموسيقى المنبعثة من الكافيتيريا مألوفة له وان كان لا يتذكرها لكنها اشعرته بنفس الرعب الغامض الذي احس به في الڤيلا , وفجأة وجد احد الشباب يتجه اليه قائلا : - اهلا بك , يبدو انك جديد هنا .. سامح : - نعم انه يومي الاول لي
الشاب : - نحن نحب ان نتعرف عليك .. اننا نؤجر ڤيلا بالقرب من هنا
سامح : - وانا ايضا , وان كانت الڤيلا التي اجرتها بها اشياء مريبة .
الشاب : - اذن تفضل واجلس معنا سيسعدنا ان نستمع اليك .. ونهض سامح مع الشاب الى المنضدة الاخرى وسلم على مجموعة الشباب ثم جلس ووضع اسكتش الرسم على المنضدة فقال احدهم : - هل انت رسام ؟ . سامح : - نعم .. قال : - وما هي الموضوعات التي تحب رسمها ؟
سامح : - حتى الان لا شيء محدد , من الممكن ان ارسم الطبيعة او الطبيعة الصامتة او البشر والمرة الوحيدة التي قررت فيها ان ارسم شيئا مختلفا حدث معي امر عجيب .
اثارت كلمته الاخيرة انتباههم جميعا فقال الشاب الذي احضره والذي عرف نفسه لسامح باسم سليم : - احك لنا . . سامح : - في الحقيقة لا ادري كيف ابدأ . . انه شيء من وراء الخيال .. وصمت بعد كلمته وراح ينظر اليهم . . ومرة اخرى أتاه نفس الاحساس الذي أتاه منذ قليل عندما استمع الى الموسيقى , هؤلاء الشباب يبدون مألوفين بالنسبة له على الرغم من انه لا يعرفهم , كأنه رسمهم في لوحة من لوحاته ولكنه لا يتذكر متى ولا اين رسمهم .. قال احدهم يستفسر عن سبب صمته : - لماذا سكت ؟ احك لنا ما حدث .قال سامح : - سأحكي لكم علني اجد منكم تفسيرا لما حدث معي , وروى لهم كل شيء منذ ان دخل الڤيلا حتى اختفاء القطة السوداء من لوحته وتجسدها خارج اللوحة فقال شاب منهم : - المسألة واضحة جدا يا صديقي لا تحتاج الى تفسير . ان هذه الڤيلا مسكونة . . قال سامح بخوف : - اذن سوف اغادرها فورا . .
قال شاب اخر : - بالعكس انه شيء مثير جدا ومغامرة رائعة قال شاب ثان : - يا جماعة ان حكايته هذه ذكرتني بحكاية حدثت معي في طفولتي . . سامح : - وما هي ؟ الشاب : - حدث لي هذا الامر وانا في التاسعة من عمري . استيقظت ليلا ودخلت الحمام دون ان اضيء النور

فقد كنت دائخا وخشيت ان افيق فلا اتمكن من النوم مرة اخرى , وعندما انتهيت من قضاء حاجتي فوجئت بوجه مرعب ينظر اليّ من الجدار المواجة لي مباشرة فتنبهت كل حواسي واخذت انظر اليه بخوف , ثم اختفى الوجه فجأة كأنه تبخر في الهواء . . سامح : - وكيف كان يبدو ؟ الشاب : - على ما اذكر كان وجها ازرق اللون وحتى عينيه المخيفتين زرقاء , صاح شاب اخر : - لقد حدث لي نفس الامر يا اصدقاء ولكن منذ سنة تقريبا , كان الجو ممطرا ولا توجد اشارة في موبايلي واردت اجراء مكالمة عاجلة فقررت الذهاب لسنترال قريب , وكان الوقت في ساعة متأخرة من الليل فلمحت وانا اعبر شبح شخص يعبر الطريق من بعيد وسط الامطار وعندما نظرت الى وجهه وجدته ازرقا مخيفا ذو شعر طويل يصل الى كتفيه ولما حاولت ان اتأكد من رؤيتي كان قد اختفى تماما بلا اي اثر . . قال سليم بسرعة كأنه كان مجهزا الكلام من قبل : - اتعرف يا سامح , لقد اوحت اليّ هذه الحكايات بفكرة مدهشة . . سامح : - اخبرني بها . . قال - لقد سألتنا منذ قليل عن كيفية مواجهة من في الڤيلا المسكونة اليس كذلك ؟سامح : - اجل . . قال : - ما رأيك ان تواجههم بنفس سلاحهم , سلاح الخوف والرعب وكأنك تعرفهم وتعرف الاعيبهم . . سامح : - فكرة مدهشة بالفعل ولكن كيف ؟ قال : -سأخبرك . ما رأيك ان تأخذ المواصفات التي قالها الاصدقاء عن وصف الشكل الذي ظهر لهم وتقوم برسمها في لوحة وتضعها في الڤيلا , فان كانت المواصفات التي سترسمها لواحد من الساكنين في الڤيلا الغامضة فأنت بذلك تؤكد لهم انك متصل بالعالم السفلي مثلهم وبهذا توصل لهم رسالة انك لا تخاف منهم وتكون اللوحة لك بمثابة تميمة او تعويذة لحمايتك منهم ما رأيك ؟ قال سامح بحماس : - انها فكرة رائعة جدا وستجعلني ادخل في مغامرة عظيمة وانا اعشق المغامرات جدا سأله واحد منهم : - ألست خائفا ؟ . . رد سامح : - بالعكس , لقد اعجبتني الفكرة وشجعتني وسأبدأ تنفيذها فورا .

****

الفصل الثاني

عندما عاد سامح الى الڤيلا كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وكان هو متحمسا جدا لرسم الوجه الازرق الذي وصفته مجموعة الشباب , وهكذا قام بتجهيز لوحة وبدأ يكون الوصف في عقله ويرسم , رسم كل تفاصيل الوجه ذي اللون الازرق والعينين الزرقاوين والشعر الطويل الذي يصل الى الكتفين , ولم يكتف بذلك . . وجد نفسه يبدع بورتريه متكامل لهذا الوجه حتى شعر هو نفسه ان صاحبه لابد انه ينتمي بالفعل للعالم السفلي . . ووقف يتأملها طويلا كعادته كلما انهى لوحة تدهشه هو شخصيا لما يتفجر منها من ابداع . . وشعور ما بداخله يؤكد له ان هذا الوجه بالذات صاحبه موجود بالفعل في هذه الڤيلا اي انها ليست صورة تخيلية , فهل هو صادق في هذا الشعور ؟ . ويا ترى ما هو رد فعل من يسكنون الڤيلا بعد رسمها ؟ . كان سامح يريد ان يعرف بسرعة ولكن شيئا لم يحدث . كان كل شيء في الڤيلا وخارجها هادئا تماما . واتجه عندئذ الى غرفة نومه بعد فترة من مراقبة لوحة الوجه الازرق دون جدوى , وراح في سبات عميق . . ولما استيقظ صباحا كانت الساعة العاشرة فقام بتجهيز افطاره وتناوله سريعا كالمعتاد فهو يأكل دائما بسرعة كأن احدا يجري وراءه كما يقولون في اللهجة الدارجة ثم راح يتجول في الڤيلا بشكل عشوائي, وفجأة وبينما هو يتجول في ارجاء الڤيلا حدث ما لم يكن

يتوقعه , كان يمر في جولته على مكان اللوحة ونظر وهو لا يبالي ففوجيء باختفاء الوجه الازرق من اللوحة , وبقيت اللوحة فارغة تماما بلا قطرة لون .
صاح سامح بغيظ : اللعنة .
اذن فقد جاء رد الفعل سريعا جدا من ساكني الڤيلا الغامضة . . وشعر سامح بغيظ شديد . انهم يسخرون منه , ولكنه اندهش هذه المرة اكثر . . لماذا لم يظهر الوجه او صاحبه خارج اللوحة كما حدث مع القطة السوداء ؟ لماذا اختفى فقط ؟ وهل سيظهر ؟ . . واصبح الامر لسامح نوعا من التحدي . لا يمكن ان يستسلم ابدا لهذا العبث الشيطاني , لابد ان يمارس حياته بشكل طبيعي ويمارس هوايته التي يعشقها وفيها موهبته , انهم يريدون ابعاده عن فنه وهو لن يسمح بهذا ابدا وابتسم سامح في اطمئنان وثقة ومع ابتسامته لمعت في ذهنه فكرة النزول الى حمام السباحة الجميل الموجود في حديقة الڤيلا . . وهكذا راح يعد نفسه وارتدى المايوه الخاص بالسباحة التي تعتبر هوايته الثانية بعد الرسم ونزل بكل ثقة الى الحديقة وهو يصفر بفمه المقطع الشهير من سمفونية بيتهوفن التاسعة واتجه مباشرة الى حمام السباحة ووقف على لوح القفز ومد ذراعيه للامام استعدادا للقفز في المياه و .....
وشاهد على صفحة المياه انعكاس وجه . . انه هو . الوجه الازرق الذي رسمه , منعكسا على صفحة مياه حمام السباحة ينظر اليه . . واختل توازن سامح من فرط المفاجأة والرعب وسقط في مياه حمام السباحة بشكل اعتباطي واحس بخدر في كل جسمه وبدا انه سيغرق مع الدوار الذي شمله تماما . . وبينما هو على هذا النحو سمع صراخا يهتف باسمه وشاهد شبحا غامضا يقفز خلفه في حمام السباحة , ثم راح جسده يغوص في المياه اكثر واكثر وهو يسقط في غيبوبة

****

استرد سامح وعيه ببطْء وبدأ يدرك ما حوله . . كان ممددا على سريره في غرفة نومه بالڤيلا مرتديا احدى ملابسه الرياضية التي يستخدمها في التمارين , وامامه كانت سحر المسؤولة عن تأجير الڤيلا تجلس على كرسي تنظر اليه بلهفة وهو يستفيق تدريجيا . . قال سامح : - سحر ؟ . . مالذي حدث ؟ . . ردت سحر : - سلامتك يا استاذ سامح , انا سعيدة جدا انك بخير الان
نهض من سريره بهدوء واقترب منها قائلا : - اخبريني ما الذي حدث ؟
ابتسمت سحر قائلة : - لقد صادف دخولي الحديقة مع وجودك في حمام السباحة في حالة غرق , ولكنني قفزت خلفك واستطعت انقاذك في الوقت المناسب . لم اكن اعلم انك لا تجيد السباحة.
سامح : - انني اجيدها بالتأكيد .
سحر : - اذن فسر لي ماذا حدث ؟
واخذ سامح يفكر سريعا . . هل يخبرها بما حدث ؟ . . هل يخبرها انه رأى انعكاس الوجه الازرق الذي رسمه على صفحة مياه حمام السباحة ؟
ان هذا بالتالي سيضطره الى ان يروي لها كل شيء منذ البداية . . ولكن هل تصدقه ؟ , ام تحسبه مجنونا ؟ , او ربما يثير مخاوفها . . اذن لا داع لاخبارها
قال سامح بعد هذا التفكير : - لا يوجد ما يدعو للتفسير , كل ما هنالك انني كنت شارد الذهن في بعض الموضوعات الفنية فاذا بي اجد توازني يختل
سحر : - آه من إلهام الفنانين هذا .

سامح : - بالمناسبة , ما الذي جاء بكِ الى هنا ؟
سحر : - لقد فكرت ان امر عليك فربما تكون في حاجة للمساعدة
ولاحظ سامح نظرات الاعجاب الشديد في عينيها فقال : - اشكركِ كثيرا يا سحر , لقد جئتِ في الوقت المناسب انا بالفعل في حاجة لمساعدتك , ولكن اخبريني اولا من الذي قام بالباسي هذه الملابس ؟ , انا كنت بالمايوه .
احنت سحر رأسها في خجل ناظرة للارض فضحك سامح وقال : - لا بأس .
وعادت تنظر اليه باعجاب وقالت : - اخبرني , هل رسمت شيئا ؟
سامح : - هذا ما اريد منكِ ان تساعديني فيه .
سحر : - كيف ؟
سامح : - ما رأيكِ ان تكوني (موديل) ؟
كادت سحر تقفز من شدة السرور الذي غمرها ولكنها سيطرت على نفسها وان راح السرور يقفز هو من كل قطعة فيها وقالت بابتسامة كبيرة : - هل تتحدث جديا ؟
سامح : - بمنتهى الجد , انا لا امزح فيما يتعلق بعملي
سحر : - ان هذا يسعدني جدا . انه شرف لي ان اعمل معك , لا ادري كيف اشكرك
سامح : - بل انا الذي اشكرك من كل قلبي على موافقتك . انني اجد فيكِ نموذجا مثاليا للجمال
سحر : - كلماتك هذه كثيرة عليّ يا استاذ سامح
سامح : - بالعكس ان كلماتي كلها واعمالي الفنية كلها لا تكفي لوصف جمالك يا سحر
وصمتت الفتاة واحمر وجهها خجلا , ثم قالت وهي تنظر في عينيه الزرقاوين الجميلتين : - ومتى نبدأ العمل ؟
سامح : - من الان ان احببتِ .
نظرت في ساعة يدها ثم قالت : - لدي بعض الاعمال سانتهي منها ثم اجيء اليك فورا لنبدأ
سامح : - حسنا سأكون في انتظارك . . ووضع يديه على كتفيها مستأنفا : - لقد انقذتِ حياتي مرتين . . مرة من الغرق ومرة بموافقتك على ان تساعديني في عملي , ثقي اني سوف اظل مدينا لكِ .
وودعته والدنيا لا تتسع لفرحتها .

****

الفصل الثالث

عندما عادت سحر الى الڤيلا استقبلها سامح بترحاب شديد وعاملها كأميرة جميلة , وكانت هي تشعر انها تدخل عالما ساحرا ليس له مثيل منذ ان تعرفت بسامح وايقنت من موهبته الغير عادية وخاصة بعد ان طلب منها ان تكون (موديل) فجعلها هذا في رقة الملائكة . وكان اول ما لفت نظرها في الڤيلا هو ولع سامح الشديد بكل ما يحمل اللون الازرق , كانت الڤيلا امام عينيها تسبح في هذا اللون كأنها تسبح في بحر عميق . . وجدت تحفا كثيرة من الكريستال باللون الازرق ولوحات كثيرة لسامح ولغيره من فنانين اخرين بنفس اللون حتى سجاجيد الارض كانت زرقاء واضاءة الڤيلا باللون الازرق الخفيف والشموع الطويلة التي على السفرة ايضا باللون الازرق وسامح نفسه كان يرتدي جاكيت ازرق وهنا تذكرت ان سيارته كذلك لونها

ازرق فألتفتت اليه بعد ان تأملت مهرجان اللون الازرق هذا وقالت : - هل تحب اللون الازرق الى هذا الحد ؟ ابتسم سامح ابتسامته الجميلة الجذابة واشار بيده اليمنى الى ذراعه اليسرى علامة سريان الدم في العروق وقال : - انه في دمي .
وامام مشغل موسيقى وقف وقام بتشغيل مقطوعة موسيقية كلاسيكية زادت الحالة فتنة ورومانسية وفجأة امسك سحر من يدها برقة وراحا يرقصان على انغام الموسيقى الجميلة , وبدت بين يديه فراشة حينا وملاكا حينا اخر . . وبعد حوالي ساعة من الحديث والسمر قال سامح : - والان لنبدأ العمل .
واخذ سامح يوضح لها الوضع الذي يجب ان تتخذه لكي يرسمها وقالت هي متسائلة :
- كم مرة تحتاج لانهاء اللوحة ؟
سامح : - سوف انهيها في ساعة واحدة
سحر : - مستحيل
سامح : - سترين بنفسك
ومضى الوقت بسرعة وسامح يرسم وسحر تتحدث معه حتى انتهت اللوحة في ساعة واحدة كما قدر سامح , وتراجع للوراء كعادته ينظر الى ما ابدعت يداه بانبهار , وحاولت سحر النظر الى اللوحة لكنه اشار اليها بيده ان تبقى في مكانها , وبعد ان اشبع عينيه من اللوحة جذبها برفق من يدها ووضع يديه على عينيها من الخلف وهو يتقدم بها ناحية اللوحة ثم ازال يديه , ونظرت سحر الى اللوحة واتسعت عيناها وفمها بانبهار ورددت شفتيها : - مستحيل . . انها . . انك ..... وقطعت عبارتها وهي تنظر اليه وعادت تقول : - انك معجزة حقيقية .
سامح : - بل جمالك هو المعجزة يا سحر .
سحر : -انها تحفة بكل المقاييس انها ما يعجز عنه البشر .
وبينما اخذ هو يرتوي اكثر من جمال اللوحة , اخذت هي ترتوي من جمال وجهه الوسيم ثم قالت : - لا اصدق انك مازلت فنانا مغمورا حتى الان ان هذا الابداع لابد ان يعرفه العالم اجمع امسك سامح اللوحة بين يديه وبدأ يدور بها في المكان كأنه يرقص معها فقالت سحر : - لك الحق ان تفخر بها وبنفسك الى هذه الدرجة , ان قدرات البشر الابداعية في اعتقادي لم تصل بعد الى هذا الحد الا اذا اصابهم مس من الجن .
وفجأة جذبت اللوحة من بين يديه في مرح طفولي وراحت تبعدها عنه وتجري بعيدا وهي تخبئها خلف ظهرها وهو يشاركها مرحها الطفولي فيجري خلفها محاولا استعادة اللوحة حتى قالت ضاحكة : - لن تحصل عليها , لقد صارت ملكي منذ الان
سامح : - بكل سرور.
سحر : - هل انت جاد ؟ . . هل حقا يمكن ان تفرط في شيء بهذا الابداع ؟ فكر جيدا , قد لا تتمكن من رسمها مرة اخرى .
سامح : - ان كل انسان ارسمه , انما ارسم اعماقه وابعاده واغوص في كل تفاصيل حياته . فالصورة بحد ذاتها تسجيل للحظة انطباعية ذاتية عن صاحبها بكل ذكرياته وتفاصيله الداخلية ومشاعره وايضا احساسه الداخلي الخاص اثناء الرسم , وهذا الاحساس الخاص المصاحب لعملية الرسم والذي يكون وليد اللحظة يعتبر كبصمة لا تتكرر وانا احب تسجيل هذه البصمات وصمت قليلا وهو يحتويها بنظراته ثم واصل حديثه قائلا : - ان حياة كل فرد فينا عبارة عن صور متلاحقة منذ مولده وحتى مماته . . صور لافراحه وصور لاحزانه صور لحبه وصور

لكرهه صور لنجاحاته وصور لاحباطاته وفشله صور لاثامه ونزواته وصور لاعترافاته وتوبته . ان حياة الصور هي حياتنا اجمعين وقانونها هو الذي يحكمنا ما دمنا نمتلك اعينا ترى وتظل تلتقط الصور للابد مثل الكاميرا .
سحر مبهورة : - ما كل هذه الفلسفة ؟ انت فنان وفيلسوف ايضا ؟
سامح : - ميرسي يا سحر . . وعلى الرغم من ابداع اللوحة على هذا النحو , هناك ابداع اعظم سألته مبهورة : - ما هو ؟
سامح : - ان ارسم الصورة من ذاكرتي الخاصة هذا هو الابداع الحقيقي.
سحر : - انت عبقري لم ارى له مثيلا طوال حياتي ولا اعتقد انني سأرى عبقريا مثلك ما حييت
سامح : - اشكرك واحييك على تقديرك لشخصي المتواضع ولفني .
سحر : - اذن سأخذ اللوحة وانت ترسمني من الذاكرة اليس كذلك ؟
سامح : - لا , فهناك مستوى اعلى من الابداع
سحر : - اخبرني
سامح : - ان افجر قدراتي الابداعية التي نمت فجأة على يديك وبفضلك في رسم عمل تخيلي
سحر: - ما اعظمك . . انني متحمسة جدا لهذا العمل
قالتها وهي تنظر الى هذا الكنز الابداعي الذي بين يديها وتبتسم .
وفجأة زالت ابتسامتها وارتسم الذهول على وجهها وهي تحملق في اللوحة فاسرع سامح يقول بخوف : - هل حدث شيء ؟
ردت سحر وهي مندهشة : - خيل اليّ ان الفم في اللوحة يتحرك
ودق قلب سامح بسرعة مخيفة وشحب وجهه , وعادت سحر تقول وهي تبتسم في مرح : - يبدو انني من كثرة انبهاري باللوحة تخيلت انها حية , انها بالفعل تكاد تقفز من اللوحة.
واصابت الحيرة سامح . . ترى ماذا يفعل ؟ . . يبدو ان اللوحة بها نفس العبث الشيطاني الذي حدث مع كل لوحة رسمها , واذا اخذت سحر اللوحة فقد يحدث لها مكروه . . وفي نفس الوقت لا يقدر ان يطلب منها تركها بعد ان اعطاها اياها . . اذن كيف يخرج من هذا المأزق ؟
وخطرت له فكرة رائعة تنقذ الموقف فقال لسحر : - هل من الممكن ان اطلب منك طلبا صغيرا
سحر : - انت تأمرني وانا انفذ ايها المبدع الكبير
سامح : - لقد اخبرتك انني اريد ان افجر موهبتي التي نمت فجأة معكِ , في بورتريه تخيلي . . وانتِ الان ستتركيني طبعا وتغادري فهذا امر طبيعي , ولكنك ملهمتي الوحيدة .
سحر وهي في قمة السعادة : - انا ؟ انا ملهمتك ؟ هذا كثير جدا .
سامح : - والفنان كما تعلمين يريد ملهمته ان تكون بجواره دائما في كل لحظة , وانا لا استطيع ان اجعلك معي في كل لحظة , لذا سوف اطلب منك ان تتركي لوحة صورتك حتى استمد منها الالهام في هذه المرحلة ثم تستردينها عما قريب .
كانت فكرة منطقية جدا ومقنعة , وعلى الفور قالت سحر وهي تمد اليه يدها باللوحة : - لا بأس , ها هي اللوحة .. سامح : - اشكرك كثيرا يا سحر , اعدك ان اعيدها اليكِ في اقرب وقت
سحر : - لا لا , خذ راحتك يا استاذ سامح . ان ما يهمني الان هو فنك . . انني في غاية السعادة لانني اصبح لي دور في مسيرتك الابداعية انه شرف عظيم لي . لقد كنت ابحث دائما عن دور لي في الحياة حتى وجدته معك , شكرا لك يا سيدي من كل قلبي
واسرعت تلتقط حقيبتها ثم قالت : - متى نلتقى في اعمال اخرى ؟

سامح : - كلما يكون لديكِ وقت فراغ مثل اليوم تعالي انا ارحب بكِ في اي وقت , لقد اصبحنا شركاء في عمل واحد
سحر : - اشكرك يا استاذ سامح , اللى اللقاء
وسلمت عليه وغادرت الڤيلا .

****

الفصل الرابع

بعد ان ودع سامح سحر , امسك اللوحة التي رسمها بها واخذ يفحصها جيدا بين يديه . . ثم وضعها على حامل الرسم وتراجع للوراء متأملا فيها طويلا ولكن لم يكن هناك شيء غير عادي فيها باستثناء انها تختلف عن مراحل رسمه السابق , اي انها درجة اعلى من درجات ابداعه الفني تفجرت فجأة . . وفكر سامح ان سحر ربما تخيلت فعلا ان اللوحة تتحرك ومع تفكيره هذا قرر ان ينسى الامر . . ووجد نفسه فجأة يتذكر لوحة القطة السوداء فاقترب من الركن الذي خصص فيه وضع لوحاته المنتهية واخذ يقلب في اللوحات حتى وصلت يده الى لوحة القطة ونظر فيها مذهولا . . كانت القطة السوداء تقف في وضع مختلف داخل اللوحة , غير الوضع الذي رسمها به . . لقد رسم القطة السوداء واقفة وجسدها في وضع جانبي ورأسها ناحية يسار اللوحة ووجهها ينظر للامام . . اما الان فوضع القطة في اللوحة اصبح ان القطة في الوضع الامامي بجسدها ورأسها , وارتبك سامح مذعورا وقلب اللوحة على ظهرها واسرع يلقيها من بين يديه تحت احد المقاعد .
مشى سامح متثاقلا والافكار تتدفق بشدة في عقله وهو يصعد السلم المؤدي الى غرفة نومه , كانت الافكار ممزوجة بالرعب والحيرة , واخذ يحلل الموقف . . ان الامر يبدو له كما لو ان القطة السوداء تتخذ من لوحته مسكنا . . تدخل بهيئة وتخرج بهيئة , واحيانا تتجسد خارج اللوحة كما رآها . . فما معنى هذا ؟ هل هي قطة شبحية ؟ ام شبح متجسد في صورة قطة ؟ ولماذا في لوحته بالذات ؟ هل في اللوحات التي يرسمها شيء ما ؟ هل وضع احد تعويذة سحرية داخل الڤيلا تتفاعل مع اللوحات والرسم مثلا ؟ . . ان في الامر سر خطير وهو يتمنى ان يكشفه , ولكن كثرة التفكير في هذا الامر قد يلهيه عن فنه فلماذا هو مازال متمسكا بالبقاء في هذه الڤيلا ؟ هل هو حب المغامرة ؟ هل يستهويه ما يحدث من غموض يثير الخيال ؟ ولكن الامر من رواء الخيال .
وتمدد على سريره دون ان يغير ملابسه او يخلع حذائه واخذ يراجع الامر في عقله منذ ان دخل الڤيلا حتى اللحظة الحالية . وبينما هو على هذا الحال , جاءه صوت مواء فقفز من سريره مذعورا وهو يتلفت حوله فلم يجد شيئا , وعاد المواء مرة اخرى بعد فترة صمت , فادرك سامح ان الصوت صادر من اسفل حيث الصالة ففتح الباب بهدوء وتسلل على اطراف اصابعه نازلا السلم وهو ينظر في خوف الى الصالة ولم يكد ينهي درجة السلم الاخيرة حتى شاهد القطة السوداء اسفل المقعد الذي رمى اللوحة تحته , فانطلق يجري على السلم حتى وصل الى غرفته واغلق الباب بالمفتاح وراحت انفاسه تتسارع وهو يفكر . . هل يستسلم لمحاولات ارعابه

المستمرة هذه ؟ هل يهرب من القيلا ؟ . . وارتفع صوت القطة مجددا . فانتفض جسده في ذعر وهو يشعر ان القطة تحاصره فصرخ بصوت عال : - ماذا تريدين مني ؟
وعاد المواء يرتفع اعلى
فصرخ ثانية : - ابتعدي عني
وتواصل المواء بشكل اعلى واعلى وبطريقة مفزعة , ووجد سامح نفسه يستجمع قوى داخلية في جسده ورفع ذراعيه عاليا وهو يضم قبضته كأنه سيدخل في صراع عنيف مع خصم قوي
واخذ يقول : - انا لست خائفا
والمواء يرتفع اكثر واكثر
- انا لست خائفا .
والمواء يستمر بنفس النغمة المفزعة
واغمض عينيه وهو مازال يردد الجملة : - انا لست خائفا
واختفى الصوت بعد فترة وساد الهدوء التام في القيلا , وارتمى سامح على السرير مغشيا عليه من الرعب .

****

استيقظ سامح في اليوم التالي على صوت رنين جرس التليفون فاسرع يجيب : - آلو
جاءه صوت سحر الجميل : - مساء الخير , هل ايقظتك من النوم ؟
نهض سامح من السرير وحسن اداءه الصوتي قائلا : - احسنتِ ان ايقظتني . فانا معتاد على الاستيقاظ المبكر ولكن هذه المرة غلبني النوم ، كم الساعة الان ؟
سحر : - انها الثانية بعد الظهر
سامح : - ياه , لقد نمت كثيرا . . المهم كيف حالك ؟
سحر : - بخير , وانت كيف حالك ؟
سامح : - بخير
سحر : - كنت اريد ان اخبرك ان لدي وقت فراغ الان وسوف آتي اليك بعد قليل
سامح : - اشكرك جدا , تشرفيني بالتأكيد . . سوف انتظرك
سحر : - حسنا مع السلامة
سامح : - مع السلامة .
وبعد ان انهى المكالمة اخذ يقوم بطقوسه اليومية المعتادة وهو مندهش لاستغراقه في النوم كل هذا الوقت . . تذكر القطة السوداء فنزل السلم بهدوء وهو ينظر الى اسفل . . ونظر اسفل المقعد فشاهد لوحة القطة السوداء مقلوبة كما تركها امس , وقرر ان يفحص لوحة سحر فاتجه ناحية حامل الرسم حيث كان قد تركها هناك واخذ ينظر اليها بتمعن ثم امسكها بين يديه .
واتسعت عيناه ذهولا وخوفا . . كانت لوحة سحر كما هي فيما عدا تفصيل واحد .
لقد كانت ترتدي زيا مختلفا غير الزي الذي رسمه سامح والذي كانت ترتديه سحربالامس .

****

استقبل سامح سحر بلهفة قائلا : - اهلا سحر يسعدني قدومك
وقبل ان تنطق سحر بكلمة وقع بصر سامح على زيها الذي ترتديه فدق قلبه بعنف . . انه نفس

الزي الذي شاهده في اللوحة منذ قليل , فشعر برعب شديد واسرع يقول لها : - مارأيكِ ان نذهب الى احد المطاعم ؟
وافقت سحر على الفور وغادر كلاهما الڤيلا حيث ركبا سيارة سامح . . قالت سحر : - سيارة رائعة . . سامح : - لقد اشتريتها عندما كنت في امريكا منذ عام ووضعت بها كل ما املك , انا لست غنيا كما تتصورين .
سحر : - انت غني بعقلك وبفنك وابداعك وهذا هو الاهم , وثق ان فنك هذا قد يأتي اليك بالغنى المادي . . سامح : - لا ادري كيف اشكرك على تشجيعك المستمر لي .
واخذ ينظر الى ثوبها ويتذكر اللوحة ويفكر . . ترى هل لسحر علاقة بما يحدث له من عبث في الڤيلا ؟ وهل هي الممهدة لوضعه في هذه الڤيلا اي وضعه في المصيدة ؟ . . هل هو ضحية مؤامرة من نوع ما ؟ . . مؤامرة هدفها ارعابه لغرض ما ؟ . . ولكن لمصلحة من ؟ , هل تصور احد انه من اصحاب الثراء لانه يركب هذه السيارة ويؤجر هذه الڤيلا ؟ وهل من المعقول ان تكون سحر طرفا في هذه المؤامرة ؟ ولكن هذا مستحيل . . انه كفنان تشكيلي يستطيع سبر اغوار الاشخاص الذين يحتك بهم في حياته حتى لقد اصبح يحسد نفسه على هذه الموهبة ومن خبرته يدرك ان سحر فتاة طيبة رقيقة ولا يمكن ان تتورط في اي اعمال شريرة , ولكن هذا لا يمنع من ان تفكيره قاده الى وجود مؤامرة بالفعل لارعابه من قبل عصابة ما وقد يكون هناك من يستبدل لوحاته بلوحات مقلدة بهدف ايهامه ان الڤيلا مسكونة .
ووصلا الى المطعم ودخلا سويا وبعد ان جلسا وطلبا ما يرغبان في تناوله لاحظت سحر عليه شرود الذهن فقالت : - ماذا بك يا سامح ؟
سامح محاولا اخفاء مشاعره : - لا شيء
سحر : - تبدو مضطربا
سامح مبتسما : - انا بخير اؤكد لكِ
سحر : - اذن ما الذي يشغلك ؟
سامح : - انتِ
سحر بدهشة : - انا ؟
سامح : - نعم ألستِ ملهمتي ؟
ابتسمت سحر ونظرت الى الارض في شيء من الخجل فاسرع يقول : - بالمناسبة . . ألم تلاحظي شيئا غريبا بعد ان غادرتِ من عندي امس ؟
سحر : - لماذا تسأل ؟
سامح : - الم اقل لكِ انكِ ملهمتي , ويهمني ان اعرف عنك كل شيء
سحر : - لقد لفت نظري بالفعل شيئا غريبا ولكنني لم اهتم كثيرا
سألها سامح بلهفة : - ما هو ؟
سحر : - وانا اصعد درجات سلم العمارة التي اسكن فيها شاهدت على السلم قطة سوداء من نوع غريب , وهذه هي المرة الاولى التي ارى فيها قطة على السلم او في الحي كله
وتسارعت ضربات قلب سامح بشكل جنوني . . يبدو ان الامر اخطر مما يتصور
واعاده صوت سحر الى القليل من اتزانه عندما قالت : - بالمناسبة , سوف اسافر في زيارة الى اقاربي في الاسكندرية وسأقضي هناك اسبوعا , انا في غاية الاسف
سامح : - لا تأسفي . . سوف نستأنف عملنا بعد عودتك سالمة من السفر

سحر : - ارجو ان تفاجئني بعمل جديد عند عودتي سيسعدني ذلك كثيرا
سامح : - اعدك بذلك
ومضى الوقت بهما في المطعم .

****

عادت سحر مع سامح الى الڤيلا بعد اصراره ان تأتي معه كي يمنحها تذكارا قبل ان تسافر قدم لها تحفة فنية مصنوعة من الزجاج باللون الازرق للفنان العالمي ديل شيهيلي (***dale chihuly***) انبهرت بها جدا وقالت : -انني اعجز عن وصف سعادتي , انت انسان غير عادي . . سامح : - لقد احضرتها من امريكا وكنت اشعر دائما انني سوف اهديها لواحدة حتى قابلتك وادركت انها انتِ , لقد كانت تنتظرك كي تصبح ملكك .
سحر : - يالك من انسان عظيم , انك تبهرني في كل لحظة اعرفك فيها
سامح : - هل تعلمي ؟ , لقد كانت هذه التحفة مصدر الهامي الفني في السابق حتى رأيتك فاصبحتِ انتِ الملهمة بلا منافس ومعكِ وجدت موهبتي الحقيقية التي كنت ابحث عنها
سحر محاولة الرد : - سامح . . انا .....
لاحقها سامح قائلا : - انا اشعربكِ وبما في داخلكِ يا سحر واقرأ كل ما في اعماقكِ من عينيكِ , احيانا تقف الكلمات عائقا بيننا وبين التعبير عن مشاعرنا . . كل ما ارجوه منكِ ان لا تتغيبي عني كثيرا فوجودكِ بجانبي له دور كبير في حياتي , اني اعتزبصداقتكِ جدا وسوف اتمسك بهذه الصداقة بكل كياني .
سحر : - وانا ايضا اتمسك بصداقتك واعتبرك مثلا اعلى لي
سامح : - اشكرك يا سحر , والان هيا بنا كي اوصلك بالسيارة
سحر : - لا تنس وعدك لي . . اريدك ان لا تتوقف عن الابداع حتى عودتي اتفقنا ؟
سامح : - اتفقنا .

****

الفصل الخامس

عاد سامح الى الڤيلا بعد ان اوصل سحر وجلس يفكر . . لقد اعتاد على وجودها في حياته بعد ان القت بسحرها وفتنتها وجاذبيتها عليه وبعد ان اصبحت ملهمته وداعمته ومفجرة لموهبته الحقيقية , وبعد ان انقذت حياته . . والان ابتعدت عنه ولن يراها الا بعد اسبوع لكنه سوف يتصل بها يوميا فهل هذا يكفي ؟ كلا بالطبع , فإن سحرها لن يعمل الا وهي امامه
والتفت وهو جالس الى لوحتها التي رسمها . . ترى هل تكفيه كملهمة مؤقتة ؟ ولكن يا الهي ما هذا ؟ . . لقد تغير زيها في اللوحة مرة اخرى . .
وقفز سامح من مقعده واتجه الى اللوحة في حذر
لقد اصبح لون الزي الذي ترتديه سحر في اللوحة اسودا كأنه ملابس حداد
وصاح سامح : - مستحيل
حتى ملامح سحر في اللوحة انقلبت من السرور الى الحزن

ما معنى هذا ؟ . . هل اصبحت لوحاته تتنبأ بأمور سوف تحدث ؟
لقد تنبأت اللوحة سابقا بما سوف ترتديه سحر وهي قادمة اليه وصدق هذا التنبؤ بالفعل . . ولم يمض وقت طويل حتى اظهرت اللوحة هذا الزي الجنائزي . . وفكر سامح سريعا , ترى هل يعني هذا ان احدا من اقرباء سحر الذين تزورهم في الاسكندرية سوف يموت ؟
واخذ سامح يدور في المكان بشكل عشوائي والقلق والخوف يلتهمانه التهاما وهو يفكر ان يتصل بسحر للاطمئنان عليها ولكنه تردد كثيرا . . فإذا صدقت النبؤة وكانت هناك حالة وفاه كيف يفسر لها موقفه ؟ انها لن تصدق بالطبع موضوع اللوحة , وفضل ان ينتظر اتصال من سحر به . . وجاءه خاطر ان يخرج توتره وقلقه في فنه, اي ان يكون هذا التوتر طاقة محفزة ووقودا للابداع .. وهكذا بدأ يعد طقوسه استعدادا للرسم ومنها استخدام الاضاءة الزرقاء وتشغيل الموسيقى الكلاسيكية التي يعشقها واضاء مجموعة كبيرة من الشموع وتذكر كلمات سحر الاخيرة له : - لا تنسى وعدك لي . . اريدك ان لا تتوقف عن الابداع حتى عودتي اتفقنا ؟
احضر لوحة وبدأ يرتجل الرسم . . وتدفق الالهام لديه بقوة كأنه شلالات , فوجد نفسه يرسم على ايقاع الموسيقى الكلاسيكية اشجارا ضخمة من نوع السنديان في قلب غابة كبيرة
وكلما رسم اكثر اتضحت معالم الغابة اكثر . . وبدت لوحته كأنها نافذة تطل على غابة حقيقية . ادهشه كثيرا ان موهبته وصلت الى هذا الحد من البراعة والجودة والاتقان ,واحس كما لو ان كل تراث الفنانين يحركه ويصب في هذه اللوحة . . وبعد ساعة انهى لوحته برسم ببغاء ازرق اللون على احدى اشجار الغابة ولم يكد ينتهى حتى رن الموبايل في جيبه فاسرع يخرجه ونظر الى الشاشة فوجده رقم سحر فاتجه صاعدا الى غرفته وهو يجيب : - اهلا سحر , هل وصلتِ الى الاسكندرية ؟ . . جاءه صوت سحر الحزين : - نعم يا سامح . . ولم اكد اصل حتى علمت بخبر وفاه زوجة عمي . . انا في غاية الحزن , لقد كنت احبها جدا وهي كانت تحبني وتقدرني وكان بيننا صداقة عميقة .
واتسعت عينا سامح وفتح فمه في رعب وتساقط العرق من جبينه مع توالي ضربات قلبه بسرعة غير معقولة , ولما لم تجد سحر منه ردا قالت : - آلو . . سامح . . هل تسمعني ؟
اخذ سامح يجاهد كي ينظم تنفسه ولملم شتات نفسه كي يقول : - نعم يا سحر اسمعك بوضوح , انا في غاية الاسف والبقية في حياتك , انا اشاركك احزانك .
سحر : - اشكرك يا سامح . . تصور من شدة حزني خيل اليّ ان التحفة التي اهديتني اياها لونها ازرق .
سامح : - ماذا تقصدين ؟
سحر : - ان التحفة الفنية لونها بنفسجي اليس كذلك ؟ لقد اختلط عليّ الامر وظننتها زرقاء
ولم يشأ سامح ان يخبرها ان التحفة زرقاء بالفعل ولكن كلام سحر يعني ان حتى التحفة تغير لونها الى اللون البنفسجي فعادت ردود فعل سامح مرة اخرى الى ما كانت عليه من سرعة ضربات القلب الى العرق الغزير ثم قال : - نعم نعم لونها بنفسجي
سحر : - لقد وضعتها في السيارة وانا اظنها زرقاء اللون كبقية التحف التي لديك ولما وصلت الى بيت عمي اخذتها معي الى داخل البيت لكي تشاهدها زوجة عمي التي كانت مريضة ولما فوجئت بخبر وفاتها اكتشفت فجأة ان القطعة الفنية لونها بنفسجي
وانهار سامح جالسا فوق سريره ثم قال : - اسأل لك الصبر والسلوان على مصابك وثقي من مشاركتي الامك من كل قلبي

سحر : - اشكرك يا سامح
سامح : - حسنا سأتركك الان لتستريحي وسوف اتصل بك غدا للاطمئنان عليكِ
سحر : - حسنا . مع السلامة يا سامح
سامح : - مع السلامة يا سحر
وانتهت المكالمة . .
وبدأ شريط من الصور المتتابعة يتوالى في ذهن سامح . .
تغيير زي سحر في اللوحة للمرة الاولى . .
ثم تغييره للمرة الثانية . .
ثم معرفته خبر وفاة قريبة سحر ما يترتب عليه صدق نبؤة اللوحة . .
ثم معرفته بأمر تغير لون التحفة الفنية من اللون الازرق الى البنفسجي , وهذه اخر المفاجآت المرعبة . . لقد كان سامح يعتقد ان المشكلة في لوحاته التي يرسمها وانها وحدها مصدر الرعب , فاذا به يفاجأ بتغير القطعة الفنية ايضا للفنان الامريكي ديل شيهيلي . . ولم يكد يصل الى هذه الفكرة حتى سمع صوتا رفيعا يصيح بكلمة غريبة :
- ساخالاڤوس
فتلفت حوله في فزع وتعجب بحثا عن مصدر الصوت . .
وعاد الصوت المرعب يردد نفس الكلمة , وتذكر سامح القطة السوداء . . يبدو انها هي واخذ يحاول فهم معنى هذه الكلمة الغريبة . . شعر انه سمعها من قبل في مكان ما ولكن لا يتذكر اين ومتى . . ولكن كيف نطقت القطة السوداء بهذه الكلمة ؟ ولم لا ؟ الذي جعلها تخرج من اللوحة يجعلها تنطق . . ان الامر كله من وراء الخيال منذ ان دخل الڤيلا . . ولكن ما معنى هذه الكلمة ؟ هل هي رسالة موجهة له ؟ هل لها معنى قد يفسر الرعب الغامض المحيط به ؟ وبشجاعة مفاجئة قرر النزول الى مصدر الصوت . .
لقد سئم من رعبه وخوفه وتوتره . . سئم من هذه الالغاز المتوالية ويريد ان يضع حدا لكل هذا الغموض , لابد ان يعرف معنى الكلمة مهما كان الثمن . . ونزل سامح الى صالة الڤيلا واخذ يفتش عن القطة السوداء فلم يجد شيئا ولم يسمع الكلمة . فتش تحت المقاعد لعل القطة تكون مختبئة . . وبينما هو منهمك في فحص اسفل المقاعد وما بين الاركان واسفل الموائد فوجيء بالصوت يأتي اليه بالكلمة الغريبة . . يأتي اليه ليس من اسفل . . وانما من اعلى . .
وعندما رفع بصره لاعلى شاهد فوق النجفة الضخمة ببغاء ازرق اللون وكان ينظر اليه ويردد :
- ساخالاڤوس ساخالاڤوس
وبحركة تلقائية سريعة نظر سامح الى لوحة الغابة التي انهاها منذ قليل.
لقد كانت اللوحة كما هي بكل اشجارها التي رسمها وكل تفاصيلها الاخرى فيما عدا تفصيل واحد .
اختفاء الببغاء من على الشجرة التي كان يقف عليها في اللوحة .

****

الفصل السادس

في اليوم التالي استيقظ سامح من نومه في وقت متأخر على غير عادته واصابته الدهشة لوجوده في سريره دون ان يتذكر اي شيء من الليلة السابقة بعد ان اكتشف خروج الببغاء الازرق من لوحته . جلس في سريره واخذ يجاهد كي يتذكر ما حدث ولكن دون جدوى , هل كان يحلم ؟ .
ولم يكد ينهض من سريره حتى سمع صوت جرس الڤيلا فاتجه نازلا وهو ينظر في ساعته اليدوية فوجدها الرابعة مساء , ففكر ياترى من هذا الزائر حتى وصل الى الباب الخارجي لسور الحديقة ففتحه ونظر الى الزائر . . كان رجلا عجوزا طيب الملامح في اواخر الخمسينيات من عمره يرتدي جلبابا وقبل ان يتحدث سامح قال له الرجل باحترام : - مساء الخير يا استاذ سامح
سامح : - مساء الخير . . من انت ؟
قال الرجل : - انا منصور علي , البستاني , ارسلتني الاستاذة سحر اليك كي ارعى الحديقة واقوم بمساعدة سيادتك في الڤيلا .
سامح : - اهلا بك يا عم منصور تفضل
ودخل منصور مع سامح الى حديقة الڤيلا واخذ يتأمل الاشجار والزرع باهتمام وهو يقول : - يبدو ان يدا لم تمتد الى الحديقة منذ فترة طويلة
سامح : - هذه فرصتك لتثبت جدارتك ولكن اولا تعال لنتحدث قليلا في الڤيلا . . وصحبه الى الداخل حتى استقرا على مقعدين في الصالة ولاحظ منصور لوحات سامح التي تملأ المكان فقال : - لقد اخبرتني الاستاذة سحر ان سيادتك فنان كبير
ابتسم سامح وقال : - انني مازلت احاول
ثم دقق النظر كثيرا في الرجل العجوز وفجأة تحركت غريزة الفن داخله وبدأ يرى في الرجل العجوز (موديل) لموضوع فني رائع بهذه الهيئة البسيطة الفقيرة وملامحه التي تمزج الطيبة بآثار الشقاء والكدح وجلبابه المميزككل لبس المصريين الفقراء الاجراء وابتسامته التي يتجمع فيها كل ما هو مصري صميم وهيئته المتواضعة والشامخة في نفس الوقت التي تشعر امامها بكل تاريخ مصر بفراعنته وآثاره وحضارته وعرق كل اجياله وتجاعيد وجهه التي تبدو وكأنها آثارا فرعونية وسواقي ريفية ونقوشا تاريخية . . باختصار انه نموذج لبورتريه مثالي يجسد كل هذا في لوحة واحدة . . وشعر سامح بألفة قوية ناحية الرجل العجوز وارتياح نفسي عميق اما الرجل فقد شعر بالارتباك من نظرات سامح المدققة فيه فقال : - هل هناك شيء يا استاذ سامح؟
كاد سامح ان يقول له انني اتأمل في جمالك المصري الاصيل هذا لولا ان خشي ان يتصور الرجل انه يسخر منه فقال : - لا شيء يا عم منصور انني فقط احسست بالالفة معك , فانا منذ فترة طويلة وانا اعيش وحيدا من قبل حتى ان اسكن هذه الڤيلا فاعذرني
ابتسم العجوز الطيب وقال : - لا بأس يا سيدي انا تحت امرك .
سامح : - اخبرني يا عم منصور . انت بالطبع تعمل في هذه المنطقة منذ زمن اليس كذلك ؟
منصور : - نعم يا استاذ سامح ولقد عملت في كثير من الڤيلات هنا
سامح : - الم تسمع عن اي شيء غريب عن هذه الڤيلا ؟
بدا التردد والاضطراب على وجه منصور للحظة قبل ان يقول : - نعم يا سيدي , انني ارى من الواجب ان اخبرك بما اعرف عن هذه الڤيلا ما دمت قد سألتني
سامح بلهفة : - حسنا ماذا تعرف ؟

منصور : - في الحقيقة يا سيدي انه امر معروف ونشر في جميع الجرائد والكل يعرفه
سامح : - لقد قضيت فترة كبيرة من حياتي في امريكا وخلال هذه الفترة انقطعت اخبار مصر عني .
هز منصور رأسه بضع مرات علامة الفهم وقال : - اذن سأخبرك يا سيدي ولكن بالله عليك لا تلم الاستاذة سحر لانها لم تخبرك فقد خشيت ان تخاف من الڤيلا
سامح : - لا تقلق ، المهم تكلم
منصور : - كل ما اعرفه يا سيدي هو موضوع المطربة التي قتلت في هذه الڤيلا منذ عام تقريبا . . المطربة من اصل اجنبي سارة
قفز سامح من مكانه صائحا : - قتل ؟! تقول جريمة قتل ؟!
نهض منصور واقترب من سامح ووضع يده على كتفه قائلا : - اهدأ يا استاذ سامح لا يوجد ما يجعلك تخاف
سامح : - بل يوجد , انت لا تعرف شيئا
منصور : - انه حادث منذ سنة والڤيلا تؤجر منذ ذلك الوقت ولم يشتك منها احد اطلاقا
سامح : - وكيف قتلت هذه المطربة ؟
منصور : - انه خلاف حدث بينها وبين عشيقها رجل الاعمال الملياردير فدبر جريمة قتلها في هذه الڤيلا . . سامح : - وهل تم القبض عليه ؟
منصور : - لا يا سيدي ، لقد تمكن من الفرار خارج البلاد قبل ان تتمكن الشرطة من القبض عليه . ومازال هاربا حتى هذه اللحظة . .
سامح : - ان هذا يفسر كل شيء
منصور : - ماذا تعني يا سيدي ؟
سامح : - هناك امور مرعبة تحدث في هذه الڤيلا منذ ان دخلتها
منصور : - ايه امور يا سيدي ؟
سامح : - لن استطيع ان اشرح لك , انه امر يفوق تصوراتك وخيالك
منصور : - اؤكد لك يا سيدي ان الڤيلا نظيفة تماما مما تحاول ان تخبرني به , لقد فهمت . . انت تتخيل ان هناك ارواحا تسكن الڤيلا بعد الجريمة التي وقعت فيها ولكنني اؤكد لك بحكم عملي لمدة عام في الڤيلا انه لا يوجد فيها ما يثير الريبة
سامح : - ولكن هناك اشياء تحدث لي في هذه الڤيلا . . انا واثق مما اقول
منصور : - يا سيدي لو كان هناك شيء لظهر لمن سبقوك في السكن هنا , لماذا يحدث لك هذا انت وحدك ؟ وبعد ان مر على الجريمة تلك الفترة الطويلة ؟ من المؤكد انك تتوهم . ان الوحدة يا سيدي لها تأثيرات رهيبة على الانسان , ولكي اطمئنك اكثر دعني اسألك سؤالا . .
سامح : - تفضل
منصور : – لقد اخبرتني انك كنت في امريكا اليس كذلك ؟
سامح : - نعم
منصور : - الم تشعر ببعض الخوف والقلق هناك ؟
سرح سامح قليلا متذكرا العام الذي قضاه في امريكا . . لقد كان يشعر فعلا ببعض الخوف والقلق دون ان يدري له سببا ولكن ما حدث له من عبث شيطاني حدث له في الڤيلا فقط فقال : - نعم اذكر ذلك .

منصور : - وكنت تقيم وحيدا بالطبع
سامح : - اجل .
منصور : - أرأيت يا سيدي . . انها الوحدة التي تسبب للانسان وحشة في حياته
هدأ سامح تماما بعد كلمات الرجل العجوز وصوته الدافيء وبدأ يشعر انه يقف امام احد الحكماء الذين يجذبون المرء بحديثهم المليء بالحكمة وقال : - عندك حق , قد يكون هذا صحيحا فعلا وانا كنت اتوهم بسبب الوحدة فانا ليس لي اقرباء او اصدقاء واعيش دائما منطويا منعزلا ولا اخرج الا نادرا كأنني منفصل عن الحياة الانسانية او كأنني من كوكب آخر
فقال الرجل بأبوة حقيقية : - اطمئن يا سيدي , لن تشعر بالقلق بعد الان باذن الله , سوف ارعاك مثل ولدي .
سامح : - اشكرك يا عم منصور
منصور : - صدقني يا سيدي , ان هذه المخاوف والهواجس والقلق تأتي لكل العزاب الى ان يقترنوا ببنت الحلال التي تكون لهم سكنا وملاذا ومسكنا لكل الوساوس
اطمئن سامح لكلمات منصور وشعر بارتياح بالغ في وجوده , ثم تذكر فجأة امرا ما فسأل
منصور : - عم منصور . . لقد اخبرتني انك كنت تعمل في الڤيلا كلما يؤجرها ساكن جديد اليس كذلك ؟
منصور : - نعم يا سيدي
سامح : - ولكن الحديقة تحتاج الى تنسيق ورعاية فأين كنت في الفترة التي اهملت فيها الحديقة؟
منصور : - لقد كانت هناك امرأة تؤجر الڤيلا قبل مجيء سيادتك اليها ولقد عرضت عليها خدماتي ولكنها رفضت بحجة انها لا تحب الازعاج وتريد ان تقيم في خلوة .
سامح : - من هذه المرأة ؟
تردد منصور في الاجابة ثم قال : انها اخت المطربة القتيلة .
عادت المخاوف من جديد لسامح وهو يقول في دهشة : - ولماذا ارادت الاقامة في الڤيلا بعد الحادث ؟
منصور : - لقد قالت للاستاذة سحر انها تريد ان تبقي قليلا في المكان الذي اوى اختها لاخر مرة كنوع من تذكرها ولتشعر بانفاس اختها في المكان
سامح : – شيء غريب . . المفترض ان يبتعد الانسان عن ذكرى أليمة كهذه
ولاحظ منصور قلق سامح الذي عاد يتجدد بعد ان كان قد تلاشى فقال له : - يا سيدي ليس في الامر شيء , هذا سلوك فردي من واحدة فلا يعني ان هناك ما يريب
لم يرد سامح وظل ساهما يحملق في الفراغ فقال منصور : - هل عاودك القلق مرة اخرى يا سيدي ؟ الم تقتنع ان الامر مجرد تخيلات بسبب الوحدة ؟
نظر سامح الى الرجل وقال وهو يبتسم : - ان وجودك يطمئنني بالفعل يا عم منصور
منصور : - الحمد لله
سامح : - ولأثبت لك انني لم اعد قلقا سأعرض عليك امرا تساعدني فيه
منصور : - انا تحت امرك يا سيدي
سامح : - اريد ان ارسم لك صورة شخصية
منصور : - ان هذا شرف كبير لي يا سيدي
سامح : – اذن لنبدأ على الفور .

****

الفصل السابع

منذ ان أتى منصور صارت الايام في الڤيلا هادئة تماما ولم يلاحظ سامح شيئا مرعبا كما كان يحدث له وذلك بعد ان راقب لوحة منصور التي رسمها والتي اصابت الرجل العجوز بالدهشة والانبهار حتى انه علق بعد ان رأى نفسه في اللوحة وكأنه يرى نفسه في المرآه : - وانت كنت تقول لي انك تخاف من الڤيلا , ها انا ذا الذي اخاف منك يا سيدي , فنك هذا ليس فن بشر وضحك سامح كثيرا ولاحظ ان اللوحة ظلت طبيعية ولم يحدث لها شيء فاطمأن اكثر واكثر وصار مقبلا على الحياة . . ومضت الايام بسامح وهو في سعادة في ظل رعاية منصور له ولم يعد يستيقظ متأخرا بل عاد لطبيعته في الاستيقاظ المبكر واخذ يمضي وقته في الرسم حينا وفي القراءة حينا وفي السباحة حينا والتجول كثيرا بالسيارة . . ونسي كل شيء حدث وكأنه لم يكن , وبدأ يشعر بحلاوة الحياة وجمال الطبيعة واندهش من نفسه كيف وهو فنان يصور الطبيعة والحياة ولكن هو نفسه كان محروما من الاستمتاع بجماليات الحياة فراح يرتوي من جمالها بالخروج والتنزه . . وذات مساء قرر سامح نقل جميع اللوحات السابقة التي كان قد رسمها وظهر بها عبث شيطاني الى الصندرة , فجمع كل اللوحات بمساعدة منصور وصعدا سويا الى الصندرة . . وبينما انهمك منصور في رص اللوحات كما امره سامح , انهمك سامح في النظر الى ارضية الصندرة حيث لاحظ شيئا ما . . وكاد ان ينحني ليدقق النظر لولا ان منصور اسقط بعض الاشياء التي كانت مخزنة في الصندرة ومع سقوط الاشياء انفلت برواز ذي اطار ذهبي به صورة فوتوجرافية لامرأة جميلة فأسرع سامح يلتقط البرواز ونظر في الصورة ومنصور يعتذر عن الفوضى التي احدثها . . ودق قلب سامح الدقات التي كان قد نسيها تماما والتي كانت تأتيه في فترة رعبه وسأل منصور : - هل تعرف صورة من هذه ؟

نظر الرجل الى الصورة وقال : - انها صورة المطربة التي حدثتك عنها يبدو ان اختها نسيتها عندما كانت هنا . . وبتفكير سريع قال سامح : - هل كانت اخت المطربة التي اجرت الڤيلا توأما للمطربة ؟

فوجيء منصور بالسؤال واندهش كثيرا وراح ينظر الى عيني سامح في ذهول قبل ان يقول : - كيف عرفت انهما توأم ؟

سامح : - اذن لقد حللت اللغز . . ان الاخت المزعومة لم تكن اختا انها المطربة نفسها

منصور مذهولا : - ولكن المطربة قتلت

سامح : - انت تفهم ما اقصد , انه شبحها . . لقد عاد شبح المطربة وادعى انه الاخت التوأم ولكن في الحقيقة انها المطربة نفسها . . منصور : - غير معقول , ما هذا الكلام الذي تقوله يا سيدي ؟ . .

سامح : - امازلت لا تصدقني ؟ ان الامر حقيقة لا شك فيها وهو يفسر كل ما مر بي من رعب هنا ولأثبت لك صحة كلامي انظر . . .

وانحنى يلتقط الشيء الذي كان قد لاحظه على ارضية الصندرة قبل ان يحدث منصور الفوضى التي احدثها وامسكه بيده وفرده على كفه في مجال رؤية منصور الذي نظر فشاهد ريشة طائر زرقاء اللون فقال : - ما هذا ؟

سامح : - انها ريشة كما ترى ولونها ازرق . . ريشة الببغاء الذي رسمته وخرج من اللوحة واختفى وكان يردد كلمة ساخالاقوس . . وانت بالطبع تعلم انه لم يدخل الڤيلا طائر من هذا النوع واللون اليس كذلك ؟
منصور وهو غارق في دهشته : - اجل . . هذه هي المرة الاولى التي ارى فيها ريشة بهذا الشكل . . سامح : - ان المطربة تحاول توريطنا في جريمة قتلها
منصور : - ماذا تقصد ؟
سامح : - انها تريد الانتقام بواسطتي من قاتلها فراحت تقوم بكل التصرفات التي حدثت معي حتى تنبهني بوجودها في الڤيلا
منصور : - يا سيدي كيف تريدني ان اصدق شيئا كهذا ؟ انك رجل متعلم
سامح : - احيانا يقف العلم عاجزا عن امور هي من وراء الخيال
منصور : - انا لا يمكن ان اصدق امرا كهذا
سامح : - والريشة ؟ , اكبر دليل على ما حدث
منصور : - من الممكن ان تكون لطائر دخل دون ان ندري
سامح : - اذن سوف تضطرني لفعل امر خطير حتى اؤكد لك انني لست مجنونا ولا اتوهم
منصور : - ماذا ستفعل ؟
سامح : - سارسم صورة المطربة القتيلة وسترى بنفسك وهي تغادر لوحتي وتتجسد
منصور : - بالله عليك يا سيدي لا داع لهذا الكلام
سامح : سترى بنفسك , تعال معي
ونزل كلاهما الى الصالة وراح سامح يجهز لوحته والوانه وادواته ووضع البرواز الذي به صورة المطربة امامه واخذ يرسم ويرسم صورتها بكل دقة واتقان ومنصور ينظر اليه تارة والى اللوحة تارة اخرى حتى انتهى الى انجاز رسم صورة المطربة كما في الصورة الفوتوجرافية ووقف هو ومنصور ينظران اليها . . ومضت الدقائق دون ان يحدث اي شيء كما توقع سامح ومنصور ينظر الى سامح في حيرة فأشار سامح ان يختبيء كلاهما خلف احدى الستائر وراحا يراقبان اللوحة والدقائق تمر بلا جدوى . . هنا انتابت سامح حالة من العصبية واتجه ممسكا باللوحة والقاها على الارض وداس عليها وهو يصيح : - مستحيل . . انا لست مجنونا . . حاول منصور تهدئته ولكن سامح انطلق فجأة يجري وهو في قمة الغضب وغادر الڤيلا حيث استقل سيارته وانطلق بها في ثورة غضبه .

****

لا يدري سامح كم مضى عليه من الوقت وهو ينطلق بالسيارة كالصاروخ حتى وجد نفسه امام (ديسكوتك) فاوقف سيارته ونزل منها ثم دخل على الفور . . ولم ينتبه الى اسم الديسكوتك والصورة التي بجوار الاسم . . كان الاسم ديسكوتك (***black cat***) وصورة قطة سوداء كان يريد ان ينسى ما هو فيه وهكذا اتجه الى البار واخذ يحتسي الخمر ونظر نظرة سريعة الى جموع الراقصين في المكان . . ولم يكد ينظر حتى انتفض في عنف رغم سكره . . لقد شاهد الوجه الازرق المخيف الذي رسمه . . كان الوجه فوق كل جموع الراقصين في الديسكوتك نهض من مكانه وهو يترنح لكي يهرب من المكان ولكنه شعر بيد تجذبه ولما نظر شاهد فتاة شقراء جميلة في العشرينات من عمرها قالت ضاحكة : - هيا لترقص معي

حاول ان يفلت منها ولكنها لم تعطه فرصة اذ جذبته الى حلبة الرقص واصبح محاطا بجموع الراقصين من كل جانب ولما رأوه اخذوا يهتزون على انغام الموسيقى ويصيحون : -
ساخالاڤوس . . ساخالاڤوس . . وصرخ سامح بشدة وضاع صراخه وسط صخب هتافات الراقصين والموسيقى فجذب الفتاة من يدها وجرى هاربا من مركز الدائرة التي كانت تحاصره , وقبل ان يتحرك خطوة اخرى تغيرت الاضاءة واصبحت بلون ازرق كئيب مرعب وطار الكحول من رأسه تماما وهو يرى اغرب ما رآه في حياته حتى الان . .
لقد شاهد سامح توأما له كأنه يشاهد نفسه في مرآه . . وكان هذا التوأم يتوسط حلقة الراقصين ممسكا (جيتار) ويعزف . . وقالت له الفتاة الشقراء : - انه اخوك التوأم اليس كذلك ؟
واتسعت عينا سامح ودق قلبه . . كان هذا اقصى ما يحدث له من رعب
قال للفتاة : - انها لا تريد ان تدعني وشأني
الفتاة : - من هذه التي لا تريد ان تدعك وشأنك ؟
سامح : - المطربة .
الفتاة : - ايه مطربة ؟ انني لا ارى ايه مطربات في المكان
سامح : - المطربة القتيلة .
الفتاة بقليل من الخوف : - قتيلة ؟ اين هي ؟
سامح : - انها حكاية طويلة
الفتاة : - وانا اريد ان اعرفها
سامح : - ليس الان . . اريد ان ارى اولا ذلك الذي يشبهني
الفتاة : - لقد ظننته اخيك
سامح : - هل رأيت ِوجوه الراقصين منذ قليل عندما كانت زرقاء ؟
قالت الفتاة مندهشة : - ماذا تقول ؟ يبدو انك سكران جدا
سامح : - سكران ؟ انك لا تعلمين شيئا
وقبل ان تنطق الفتاة انهى شبيهه عازف الجيتار عزفه وغادر مكان الرقص فأشار سامح للفتاة ان تبقى في مكانها ومشى خلف الشبيه . . ومع جو الديسكوتك المحيط به بأضواءه المبهرة وزحامه الشديد والموسيقى المرعبة الصاخبة وذلك الشبيه الذي يتبعه , احس سامح انه في كابوس مرعب لا يستطيع الاستيقاظ منه . . وبدأ يتسائل لماذا حدث له كل هذا هو بالذات ؟ , لماذا اختارته المطربة القتيلة لتفعل معه كل هذا ؟ . . هل لانه فنان وهي ايضا فنانة ؟ هو رسام وهي مطربة فهل اقترنت به لهذا السبب ؟ . . اذن سيلعن الفن طوال حياته . .
هذا اذا بقي شيء في حياته بعد كل هذا الفزع الذي عاشه .
وظل الشبيه يتقدم وسامح خلفه يقاوم زحام الموجودين حتى لا يفلت منه حتى وجده يدخل احدى الصالات فدخل خلفه . . كان الشبيه يوليه ظهره فأقترب منه سامح بحذر حتى اصبحت المسافة بينهما بضعة امتار وقال : - من انت ؟
ولم يكد الشبيه يلتفت الى سامح حتى تحول الى امرأة . . وبالتحديد الى المطربة القتيلة . .
وتجمد سامح في مكانه من اثر المفاجأة المرعبة وظل ينظر الى المرأة التي نطقت بكلمة واحدة:
- ساخالاڤوس .
وما ان سمع سامح الكلمة حتى سرعان ما انطلق يعدو هاربا بكل ما اوتي من قوة وهو يقاوم الزحام ويصطدم برواد المكان حتى مر على الفتاة الشقراء التي كان يرقص معها والتي كانت

بانتظاره ولما رأته يتجاوزها ويعدو صاحت به : - انتظر انا هنا , هل نسيتني ؟
وانطلقت تعدو خلفه حتى لحقت به وصاحت : - ماذا حدث ؟
قال بعد ان غادرا الديسكوتك ووقفا خارجه بجوار سيارته : - لقد ظهرت المطربة القتيلة
قالت الفتاة بالانجليزية : - يا الهي
وجذبها من يدها وركب معها السيارة وانطلق بها فقالت : - اسمي ساندي بالمناسبة . . الى اين ننطلق ؟ . . والقى سامح نظرة سريعة على الديسكوتك وهو يبتعد بالسيارة ولمح هذه المرة اللافتة وصورة القطة . . وعادت ساندي تسأله مجددا : - يا صديقي الى اين نذهب ؟
سامح : - لا ادري . . انا اشعر بالخوف . . لقد حللت اللغز ولكن ما هو ساخالاقوس ؟
ساندي : - ماذا تقول ؟ ما هذه اللغة الغريبة ؟ من اين جئت بها ؟ . . ثم فتحت حقيبتها واخرجت منها زجاجة خمر قائلة : - انك تحتاج الى هذا لكي تنسى كل ما انت فيه .
تناول سامح الزجاجة واخذ منها عدة جرعات اعادت اليه سكره وشاركته الفتاة فيما تبقى من الزجاجة . . وزاد من سرعة سيارته .

****

الفصل الثامن

وصل سامح وساندي الى القيلا في ساعة متأخرة من الليل وهما في حالة سكر شديدة , وما ان دخلا القيلا حتى انقلبت بهما رأسا على عقب . . تبعثرت لوحات سامح في كل مكان . . على الارض . . فوق المقاعد . . على الموائد . . واستخدم سامح الالوان في الرسم على الجدران بطريقة ال (***graffiti***) بألوان زرقاء اظهرت اشكالا مرعبة ولطخ وجه ساندي وملابسها ولطخته ساندي بدورها , ثم توقف سامح فجأة وقال لساندي :
- كيف لم انتبه من قبل ؟ . . ان جمالك هذا يحتاج الى تصوير
وجذبها من يدها لتقف في وضع معين والتقط لوحة واخذ يرسم الفتاة الشقراء الجميلة قائلا : هذا الجمال لابد ان يخلد في لوحاتي , ستكونين ال (***masterpiece***) في اعمالي , واخذت ساندي ترقص في مكانها ثم تجري وسامح خلفها يحاول الامساك بها واعادتها الى مكانها , واستمرت الفتاة تعاكسه بحركاتها وهو يحاول رسمها حتى انتهت اللوحة اخيرا .
وعلى الرغم من ان سامح في حالة سكر الا انه اخرج صورة في غاية الروعة , ولما رأت ساندي اللوحة صاحت مندهشة : - مستحيل , هذا ليس فن انه سحر . . انت ساحر .
وخطر على بالها فكرة مجنونة فقالت : - مادمت بهذه البراعة اذن ارسم الرب .
نظر لها سامح نظرة حادة غاضبة بعد ان افاقته الكلمة من سكره وقال بغضب : - انت سكرانه
قالت ساندي معتذرة بعد ان ادركت غضبه من كلمتها : - انا آسفة يا سامح لم اقصد , حقيقة فنك هذا جعلني اتصور انك قادر على رسم اي شيء , ما رأيك ان ترسم ملاكا ؟
هرش سامح رأسه قليلا ثم قال وهو يضحك : - انت ذكرتني بقصة مدهشة لبيكاسو وهو يرسم صورة لستالين فخرجت الصورة لوالد زوجته وليس لستالين
سالته ساندي في حيرة : - ماذا تعني ؟
سامح : - اعني انني سأستخدم هذه الطريقة , سأرسم صورة تخيلية لملاك بالاسلوب السريالي

ونرى ماذا تكون عليه اللوحة في نهاية الرسم .
صفقت ساندي قائلة : - فكرة رائعة انت مدهش
وبدأ سامح يرسم صورة الملاك الذي سيصبح شيئا آخر بالطريقة السريالية ووقفت ساندي تتابع الرسم بحماس , واستمر سامح يرتجل الرسم بطريقة عجيبة فكانت لوحته تتبدل في سرعة مدهشة من صورة ملاك الى شيطان الى انسان . .
وكالعادة في كل ابداع عظيم يقوم به سامح استغرقت منه اللوحة ساعة حتى انتهت
نظرت ساندي بدهشة الى اللوحة ثم قالت : - انها فتاة .
اما سامح فقد اخذ باللوحة تماما وظل يتأملها طويلا بعد هذه الرحلة الارتجالية التي قام بها بالالوان ثم علق : - وجدتها . . هذه هي ال (***masterpiece***) التي كنت ابحث عنها هذه هي التي ستخلدني في عالم الرسم , هذه التي ستجعل اسمي بجوار دافنشي وبوتشيلي ومايكلانجلو وفان جوخ وفرمبير وبيكاسو . . هذه اللوحة التي ستكون في كتب الفن بجوار لوحات الجيوكندا و الفتاة ذات القرط اللؤلؤي ومولد فينوس والجورنيكا وليلة مليئة بالنجوم .
ساندي غاضبة : - الم تخبرني انك ستجعلني ال (***masterpiece***) لاعمالك الفنية ؟
قال سامح وهو لا يحول بصره عن اللوحة : - ان جمالك هو الاصل الباقي رغم اي صور تقلده , اما هذه اللوحة فهي من وحي الخيال لجمال لم يوجد في هذا العالم الواقعي وهذا هو سر عظمتها . .
شعرت ساندي بالسرور من كلماته وابتسمت واخذت تتأمل معه اللوحة وعلق هو قائلا :
- ولا في اروع احلامي كنت سأرى ابداعا بهذا الشكل , لقد شاء القدر ان يكون دورك في حياتي ليس مجرد (موديل) وانما سببا لخلق اعظم ما ابدع الانسان . . هذا ما وعدت سحر به ان انجزه في غيابها
سألته مندهشة : - من سحر هذه ؟
سامح : - انها مساعدتي وملهمتي وكان لها دور ايضا في مسيرتي الابداعية . . ثم خبط جبهته بكفه قائلا : - الم تلاحظي هذا ؟ . . سامح , ساندي , سحر . . كلنا نبدا بحرف السين . . صدفة مدهشة . . قالت ساندي بتلقائية : - وساخالاقوس هل نسيت ؟
دق قلب سامح ثم قال بغضب : - لماذا ذكرتني بهذا ؟ لقد كنت قد نسيت
ساندي : - لم اقصد , لكنني تذكرت ان هذه الكلمة ايضا انها تبدأ بحرف السين
سامح متجاهلا كلمتها : - المهم , ما رأيك ان نسمي هذه الفتاة التي في اللوحة باسم يبدأ بالسين ايضا ؟ . .
ساندي : - فكرة رائعة ولكن ماذا تقترح لتسميتها ؟
سامح : - لست ادري يا ساندي . . هناك شيء ما بداخلي يطلب مني ان اسميها سيلين تيمنا باسم إلهة القمر فهي تستحق هذا الاسم لنورها المشع وجمالها الذي ليس له مثيل
ساندي : - اسم جميل جدا
ونظر سامح لوجه الفتاة التي رسمها في اللوحة وقال مخاطبا اياها : -مرحبا بك يا سيلين , انتِ قمر حياتي . . قالت ساندي : - لولا انها صورة مرسومة لشعرت بالغيرة من جمالها الفتان
ومضى الوقت سريعا وطلع الصباح فخرج سامح مع ساندي ليوصلها بالسيارة الى منزلها وراح يشكرها على الوقت الذي قضته معه ورحب بصداقتها وطلب منها ان تتصل به في اي وقت وعاد سريعا الى الڤيلا . . كان يشعر بنشوة لا توصف بعد لوحة سيلين التي رسمها واحس انه

يريد الاحتفال بها فظل ينظر اليها ساعات الصباح الاولى حتى غلبه النوم وهو على احدى الارائك .

****

الفصل التاسع

استيقظ سامح في ساعة متأخرة من النهاروااندهش لغياب عم منصور كل هذا الوقت ونسي كل ما مر به ليلا في الديسكوتك وانشغل بلوحته الجديدة التي رسمها في حضور ساندي بطريقته السريالية فخرجت من بين يديه من ابدع ما يكون , وكانت الفتاة المرسومة في اللوحة ذات جمال لا يوصف كأنها ملاك تحول الى انسان وظل محتفظا بملامحه وخواصه وهالته النورانية او كأنها مخلوق من عالم آخر به جمال لم يوجد على الارض منذ بدء الخليقة . . وتمنى سامح لو انه قابل فتاة لها هذا الجمال . . وبدأ يتعلق شيئا فشيئا بما صنعت يداه حتى عشق الفتاة التي في اللوحة كأنها موجودة بالفعل وذكره هذا ببجماليون الذي هام حبا بالتمثال جالاتيا الذي صنعه . . وتوقع سامح لنفسه انه لن يحب ابدا او يدخل في تجربة رومانسية مادامت هذه اللوحة موجودة . . سيظل يحبها ويتمنى ان يراها في عالم الحقيقة لا في عالم الفن

ووجد نفسه يفكر في رسم المزيد من اللوحات لها . . جهز كل ادوات الرسم ثم فتح الشرفة ووقف مستنشقا النسيم واخذ يقوم ببعض التمارين الرياضية ليلين يديه استعدادا للرسم , وبينما هو يقوم بالتمارين وقع بصره على شرفة الڤيلا التي امام ڤيلته . . وبالتحديد على تلك الفتاة الجميلة التي تطل من شرفة الڤيلا . . لقد كانت الفتاة هي سيلين . .

وارتجف سامح من هول ما رأى . .

وبحركة لا ارادية نظر الى لوحة سيلين فوجدها كما هي بلا اي تغيير ثم عاود النظر الى الفتاة وظل يحدق فيها اكثر واكثر وتحرك مغادرا الڤيلا كأنه منوم مغناطيسيا واتجه الى الڤيلا التي بها الفتاة ووقف امام الباب وضغط على زر الجرس . . وانتظر ان تجيبه الفتاة وقلبه يرتجف ويرتجف وجسده يرتعش

وانفتح الباب واطل وجه كأنه قادم من ملكوت السماوات العلى وقبل ان تنطق صاحبته قال سامح : - مستحيل . . من انتِ ؟

قالت الفتاة بلهجة تمتزج فيها الدهشة بالغضب : - عجبا لك . . اولا تحدق فيّ بطريقة عجيبة من شرفتك ثم تتجرأ وتأتي لتسألني من انا ؟ حسنا . . انا سيلين . . سيلين سامي

عند هذا الحد انهار سامح تماما وسقط على الارض امام الفتاة فاقدا الوعي .

****

عندما استرد سامح وعيه وجد نفسه ممددا على اريكة في صالة ڤيلا وعلى احد الجدران شاهد صورة فوتوجرافية كبيرة للمطربة القتيلة سارة . . نهض من رقدته وهو يهز رأسه ليستفيق اكثر وشعر بوجع خفيف في رأسه وادار بصره في المكان وهو يتسائل عن سبب وجوده فيه ثم تذكر ما حدث وكيف سقط فاقدا الوعي بعد ان رأى الفتاة واخبرته باسمها . . وما لبث ان رأى الفتاة تقترب منه وهي تحمل صينية عليها كوب من عصير الليمون المنعش وتقدمه له قائلة : -

تفضل . . تناول سامح الكوب وهو لا يصدق عينيه انه يقف امام فتاة ابتدعها خياله ثم يكتشف انها موجودة في الواقع ومن لحم ودم وتسكن في ڤيلا امام ڤيلته . . وعاد ينظر الى صورة المطربة ويفكر . . لا شك ان المطربة هي السبب في حدوث هذا الامر ايضا . . اذن فهذه الفتاة التي امامه ليست بشرا وانما كائن من العالم السفلي . . ولكن مهلا . . انه يتذكر جيدا عندما رأى الفتاة لاول مرة نظر الى لوحته ولكن اللوحة لم تكن خالية ولم يحدث لها اي تغيير . . اذن ماذا حدث ؟ وكيف تجسدت الفتاة في اللوحة وخارجها في نفس الوقت ؟.

ووضع سامح يده على رأسه متأوها فاقتربت منه الفتاة وهمت ان تضع يدها على رأسه فافلت منها مبتعدا بخوف شديد فقالت غاضبة : - ماذا دهاك ايها الشاب ؟ هل انت مجنون ؟

اشار سامح الى صورة المطربة القتيلة وقال : - هل ؟ . . هل تعرفينها ؟

ردت الفتاة : - لا اعرفها شخصيا ولكنني احب صوتها والان اخبرني ما هي حكايتك بالضبط ؟ ولماذا فقدت وعيك بمجرد ان اخبرتك باسمي ؟

وقف سامح يتأملها طويلا ولم يرد فقالت : - هل عدت للنظر مجددا بهذه النظرات الغريبة ؟ ماذا تريد مني ؟

لملم سامح شتات نفسه وقال : - هل انتِ من العالم السفلي ؟

قالت بغضب اكبر :- من الواضح انك مجنون بلا شك .

سامح : - انا لست مجنونا , ما يحدث معي هو الجنون بعينه

تسائلت الفتاة : - ما هذا الذي يحدث معك ؟

سامح : - قبل ان اجيبك على اي سؤال لابد ان اتأكد اولا من انك بشر .

الفتاة : - يبدو انني سأتصل بالشرطة او بمستشفى الامراض العقلية . (وقالت بينها وبين نفسها بصوت منخفض) انه مجنون هارب بالفعل

سمعها سامح فقال : - قلت لك انا لست مجنونا ساجعلك تفهمين كل شيء لكن اسمحي لي اولا ان اتأكد , ارجوكِ ان تعذريني وتقدري موقفي . ان ما حدث معي لم يحدث لمخلوق من قبل

الفتاة : - وكيف تريد ان تتأكد ؟

سامح : - اعطني يدكِ

رضخت الفتاة للامر وقالت : - حسنا تفضل

ومدت له يدها فتردد قليلا ثم اقترب منها بهدوء وامسك يدها وظل ممسكا بها بعض الوقت حتى اطمأن فأفلتها ونظر الى عينيها الجميلتين واحس انه يغوص فيهما وقالت هي : - والان ماذا بعد؟ . . سامح : - اعذريني : - ان ما حدث معي امر فظيع واخر الامر مفاجأتي المرعبة برؤيتك

قالت الفتاة باستياء : - هل رؤيتي مرعبة ؟

سامح : - عذرا . . انا لا اقصد , ساخبركِ بكل شيء ولكن اولا لقد اخبرتني قبل ان افقد الوعي ان اسمك سيلين اليس كذلك ؟

قالت : - نعم هذا هو اسمي سيلين سامي

سامح : - مستحيل

سيلين : - ما هو المستحيل في هذا ؟

سامح : - ان اسم سيلين هذا كان نتيجة وحي خيالي صباح اليوم

سيلين : - انا لا افهم شيئا

سامح : - سأوضح لكِ حتى تعيشين معي حالة الرعب التي انا فيها والتي لا اجد لها تفسيرا حتى الان . . صباح اليوم رسمت لوحة ارتجالية , انا فنان تشكيلي بالمناسبة , وخرجت اللوحة دون وعي مني او قصد مسبق لفتاة ليس لها مثيل في عالمنا فاقترحت ان اسمي اللوحة او الفتاة التي ابدعها خيالي باسم سيلين على اسم الهة القمر وذلك لجمالها الذي يفوق جمال البشر ولاكتشافي فجأة وانا معي صديقة لي ان اسمها يبدأ بحرف السين مثل اسمي وكذلك صديقة اخرى لي
علقت سيلين قائلة : - يبدو انك كثير الصداقات للنساء
سامح : - المهم بعد ذلك عندما استيقظت قررت ان ارسم لوحات اخرى لكِ اقصد لسيلين التي رسمتها , واذا بي افاجأ بكِ تقفين في شرفة الڤيلا التي امام ڤيلتي نسخة طبق الاصل من لوحة ابدعتها وانا مابين الوعي والسُكر
سيلين باستنكار : - ان خيالك يشطح كثيرا ايها الشاب
سامح : - اؤكد لكِ ان هذا ما حدث ولكي اثبت لكِ صدق كلامي اريدكِ ان تأتي معي الڤيلا لتري بنفسك اللوحة وانتِ فيها
ولمح سامح الفضول مرتسما على ملامح سيلين وهي تقول : - حسنا هيا بنا

****

ظلت سيلين تحدق في اللوحة كثيرا جدا وبدت عليها الدهشة والحيرة والاستغراب ثم نظرت الى سامح الذي قال لها : - هل صدقتي الان ؟
اومأت برأسها دون ان تنطق فقال هو : - والان ما هو تفسيرك لهذا الذي حدث ؟
ردت والانبهار والدهشة لم يفارقاها بعد : - لست ادري , ولكن قد تكون المشكلة فيك انت . . لابد ان لديك موهبة غير موهبة الرسم , قدرة خاصة كالتخاطر وقراءة الافكار وتحريك الاشياء عن بعد . . لديك شيء مثل هذه القوى الخارقة للطبيعة تجعلك ترسم البشر والاشياء قبل ان تراهم.
سامح : - ليست المسألة على هذا النحو . . هناك شيء غامض يحيط بي لا ادري كنهه
سيلين : - ماذا تعني ؟
وروى لها بشكل مختصر ما حدث معه منذ ان رسم القطة السوداء ولوحة كائن العالم السفلي ذي الوجه الازرق .
قالت بعد ان استمعت اليه : - اخبرني , ماذا تعرف عن العالم السفلي ؟
سامح : - لا اعرف عنه اي شيء , ولكن سمعت انه عالم قائم بذاته وله وجود مستقل وبه ارواح او اشباح او مخلوقات غير بشرية . .
وغير الحديث قائلا : - عذرا نسيت ان اقدم لكِ شيئا .
واسرع جاريا الى المطبخ واحضر مشروبا مثلجا قدمه لسيلين التي تناولته منه ثم ضحكت في شيء من السخرية قائلة : - اهذا ما تشربه ؟
فهم سامح قصدها فقال : - تقصدين انني لا اشرب الخمور ؟ نعم هذا صحيح , والمرة الوحيدة التي شربت فيها خمرا كانت عندما دخلت الديسكوتك , كنت في حالة غير طبيعية واردت ان اخرج منها بالسُكر
نظرت اليه باسلوب كأنها تتشكك فيه ولكن بهزل وقالت : - هل تريد اقناعي انك لا تخطيء ابدا؟ . . ضحك قائلا : - لا احد معصوم من الخطأ , كلنا بشر . .

انتظر ان تعلق على كلمته ولكنها ظلت صامتة تتناول العصير الذي قدمه لها فقال مغيرا الحديث : - يبدو انني سأقتنع بفكرتك عن امتلاكي موهبة او قدرة خارقة للطبيعة , اذ يبدو لي انها التفسير الوحيد لما يحدث لي .
سيلين : - دعك من هذه الموهبة الان ودعنا نتحدث عن موهبتك الفنية , ان لوحتك هي انا بالفعل دون زيادة او نقصان .
ولاول مرة ينتبه سامح الى انه يجلس مع الفتاة التي عشقها من قبل ان يراها . . لقد تمنى بعد ان رسمها ان يقابل صاحبتها في عالم الواقع وها هي الامنية تتحقق , وتجسدت اسطورة بجماليون وجالاتيا من جديد
وغاص سامح في عينيها اكثر واكثر وظل يحدق في وجهها بنظرات حب صادق فقالت : - انا اشعر بما تعكسه هذه النظرات .
سامح : - حقا ؟
قالت : - اجل , انها تدل على انك مازلت تحبني . . اقصد تحبني , بل تعشقني
لم ينتبه سامح لكلمتها التي اخطأت بها بشكل عفوي والتي قد تعني انها تعرفه من قبل وقال : - اعشقك من قبل ان اقابلك . . منذ ان رسمتك وانا هائم بكِ وادركت انني لن احب غيركِ ما حييت .
ابتسمت قائلة ووجهها يحمل نظرات تعكس نفس المشاعر : - وانا ايضا . . اشعر ان هناك شيء غامض يربطني بك ويوحدني معك , شيء رهيب يجذبني نحوك بشكل غير طبيعي وغير مسبوق . . انت من يهواه قلبي لأول مرة
سامح بسرور لا يوصف : - انا لا اصدق , لابد انه حلم . . هل تتحقق اعظم امنية لي بهذه السرعة ؟ ارسم فتاة احلامي فتصبح بين يدي في غمضة عين ؟ . . مستحيل
سيلين : - انت قاهر المستحيل يا سامح
واقترب منها اكثر في لحظة رومانسية جميلة ونظر في عينيها العميقتين وهو يمسك يدها وفجأة في لمح البصر تحولت عينيها الى عينين مشقوقتين . .
عيني قطة سوداء

****

الفصل العاشر

تراجع سامح للوراء مصعوقا بعد ان رأى عيني سيلين تتحولان الى عيني القطة السوداء المخيفة , فنهضت سيلين واقفة بتوتر وقالت : - ماذا حدث ؟
نظر سامح الى عينيها مرة اخرى بعد ان تراجع فوجدها طبيعية تماما فقال : - لا شيء لا شيء يبدو انه من كثرة ما حدث لي اصبحت اتخيل اشياء مرعبة , انا اسف يا حبيبتي اعذريني
اقتربت منه سيلين ووضعت يديها على كتفيه قائلة : - اطمئن يا حبيبي , منذ الان لن يحدث لك اي شيء مخيف وانا موجودة . . اعدك بذلك .
نظر اليها بكل غرام ورومانسية وقال : - ما رأيك ان نخرج للتنزه قليلا ؟
سيلين : - فكرة رائعة , سأذهب لاعداد نفسي ثم نلتقي يا حبيبي
وشبكت اصابع كفيها في اصابع كفيه للحظات وهي تنظر اليه بكل حب الدنيا كأنها عثرت على

حياتها التي كانت ضائعة منها ثم غادرته الى ڤيلتها . . وجلس هو يفكر في كل ما حدث .
تذكر الموقف المرعب الذي حدث منذ قليل وكيف رأى للحظة واحدة عيني القطة السوداء بدلا من عيني سيلين وقال في نفسه : - هل كنت اتوهم ؟
وبتفكير تلقائي اتته فكرة ان يرى لوحة القطة السوداء الان . .
اتجه الى اللوحة واخرجها ونظر فيها . .
واتسعت عيناه في رعب وفزع . .
لم يكن هذه المرة يتخيل . .
لقد كانت حقيقة ملموسة وثابتة في اللوحة . .
هذه المرة كانت عيني القطة السوداء في اللوحة عينين بشريتين . .
وتحديديا نفس عيني سيلين الزرقاوين وكأنها تطل عليه من وجه القطة .

****

انشغل سامح بسيلين تماما على مر الايام واصبحت هي كل شيء في حياته وانسته مخاوفه وما رآه من رعب جديد في عيني القطة التي اخفى لوحتها . . حتى لا تعكر صفو عشقهما . وانسته حتى فنه فلم يعد يرسم واصبح هائما بمعشوقته ولا يقضي وقته كله الا معها سواء في ڤيلته او في ڤيلتها . . اصبحت كل شيء له . . وكثيرا ما كان يخرج معها وينطلق بالسيارة البوجاتي فايرون الزرقاء بسرعة جنونية فرحا بها وبعشقه , واذا لم تكن معه في مرة لسبب او لاخر خرج بالسيارة وهو يضع لوحتها الى جواره على مقعد السيارة . .
وفي مرة من المرات وهو خارج بلوحة سيلين يقود السيارة التقى بمجموعة الشباب الذين تعرف بهم ورووا له تجربتهم مع الوجه الازرق , وراح يروي لهم كل ما مر به وفرجهم على لوحة سيلين واخبرهم انه رسمها قبل ان يراها وانها موجودة بالفعل فطلبوا منه ان يروها واخبرهم انه سوف يقيم حفلا في ڤيلته وهم مدعوون لمقابلة سيلين والتعرف بها . .
وهذا ما كان . .
كان الحفل رغم صغره وقله رواده مبهجا وجميلا وينتابه جو من المرح . وكانت سيلين تجهز نفسها في احدى الغرف وسامح يجلس يتحدث مع اصدقائه الذين كانوا مشتعلين حماسا وشوقا لرؤية سيلين الملاك الذي اسكرهم جماله في اللوحة فارادوا ان يروا هذا الجمال النادر في عالم الحقيقة . . وبعد ان زادت لهفة رواد الحفل اطلت عليهم سيلين ببهائها وجمالها وسحرها الانثوي النادر في فستان جميل ازرق منحها سحرا وجمالا ورونقا ليس له نظير كأنها مخلوقة به وكانت مفاجأة لسامح ان يراها بهذا الفستان الازرق فاسرع اليها والتقط يدها وهي تنزل سلم الدور العلوي وقال لها : - حبيبتي , ما هذه المفاجأة المدهشة ؟ . . لم اكن اعلم انك تحبين اللون الازرق مثلي , انه يبدو كما لو انه صنع خصيصا لكِ من اين جئتِ به ؟
قالت له هامسة : - الم اقل لك اني سافاجئك ؟
وغرق المدعوون في بحر الذهول من جمال سيلين الاسطوري وهم يرون هذه المخلوقة التي خطفت عقولهم وراح سامح يعرفها عليهم واحدا واحدا وبادلتهم مرحهم ومزاحهم وقالت له : - من الان اصدقاؤك هم اصدقائي
وقضوا احلى امسية من السمر والمرح والرقص والاكل والشرب والكلام
ومع نهاية الحفل اقترب سليم احد الشباب من سامح قائلا : - هل تعلم ان لوحتك هذه تساوي

الملايين ؟ . . ان رجل الاعمال الذي اعمل عنده مستر سيزار سوف يجن اذا رآها . . انه من هواه جمع اللوحات النادرة مثل لوحتك وسوف يهمه فعلا ان يرى هذه اللوحة بل وسيسعى جاهدا ان يقتنيها , فان شهوته في اقتناء اللوحات لا تفوقها شهوة اقتناء الحسناوات
وضحك الصديق وضحك سامح وعاد سليم يقول : - هل تسمح لي ان ادعو مستر سيزار لرؤية اللوحة ؟
قال سامح : - بكل سرور
قال سليم : - اشكرك كثيرا ايها الصديق الطيب
وغادر سليم الڤيلا مع بقية الاصدقاء تاركين سامح مع سيلين ليستكملا السهرة .

****

في موعد متفق عليه التقى سامح برجل الاعمال الميليارديير سيزار , وسرعان ما تذكر سامح رجل الاعمال الهارب قاتل المطربة . .
وما ان جلسا سويا في صالة الڤيلا الواسعة حتى بادره سيزار قائلا : - لقد سمعت من سليم عن وصفه للوحة التي رسمتها وكأنه يقول فيها شعرا , هل يمكنني ان اراها الان ؟
ولاحظ سامح مدى لهفته وتشوقه لرؤية اللوحة . . انه بالفعل كما اخبره سليم يحمل شهوة رهيبة للوحات . . فقال له : - تفضل معي
وقاده الى حيث يعلق اللوحة على احدى الجدران في غرفة خصصها لها
وظل سيزار يطوف حول اللوحة كأنها كعبة مقدسة له ويتأملها من كل زاوية بعين خبير قدير وقد بدت في عينيه شهوة عجيبة وراح يقول : - هذه معجزة ابداعية بكل المقاييس , انها تجمع كل تراث الفن السابق واللاحق فيها . . استاذ سامح كم تطلب ثمنا لها ؟ سأدفع لك بالدولار
قال سامح بحسم : - انها ليست للبيع يا مستر سيزار . . انها تحفتي التي ستخلدني في عالم الرسم .
سيزار : - ارجو ان تفكر جيدا في عرضي يا استاذ سامح , سأدفع بالدولار نقدا اي مبلغ تطلبه فيها مهما كان , هل تسمعني ؟ مهما كان
سامح : - قلت لك ليست للبيع
سيزار : - حسنا سأتركك لتفكر في عرضي وفي هذه الاثناء سوف افتتح لك معرضا فنيا للوحاتك ولوحة سيلين هذه التي ستكون حديث الناس كلهم في جميع انحاء العالم , ما رأيك ؟
سامح : - هذا شرف كبير لي يا مستر سيزار ان تقبل افتتاح معرض لي , هذا حلم حياتي
سيزار وهو يصافح سامح : - اتفقنا , جهز اعمالك وانا سأجهز المعرض واتصل بك لنرتب كل شيء . .
وانتهى اللقاء . .
ولما جاءت سيلين روى لها سامح ما حدث ورغبة مستر سيزار في شراء اللوحة
قالت مندهشة : - ولماذا رفضت بيعها يا حبيبي ؟ انها فرصة كبيرة لك لتبدأ حياة رائعة وانا معك . .
سامح : - انها كما تعلمين يا حبيبتي لها مكانة خاصة عندي , انها لوحتك التي كانت السبب في معرفتي بكِ .
سيلين : - وهل هذا يمنع ان تبيعها وتكسب ؟ . . هذا عملك يا حبيبي ولابد ان تستفيد منه ومن

اي عرض يقدم لك . . ولا تقلق فأنت ستبيع لوحة وصاحبتها موجودة معك لن تتخلى عنك لحظة واحدة . . وثق انك ستتمكن من رسمها بشكل احسن ما دمت تملك الموهبة الخارقة التي لديك .
اقتنع سامح بكلامها واتصل على الفور بمستر سيزار يخبره بموافقته على بيع اللوحة , وهكذا تمت الصفقة بينهما
واقيم المعرض بعد ذلك بأيام واصبح حديث كل الناس في كل مكان وكان اكثر حديثهم عن لوحة سيلين التي سعى الجميع من كل ارجاء الدنيا لرؤيتها في المعرض
المهتمون بالفنون والهواه والفنانين والمحترفين , الكل جاء يحج الى لوحة سيلين
واصبح سامح من اشهر الفنانين التشكيليين في العالم . .
وكان الكثيرون يأتون الى المعرض لدراسة اللوحة ومحاولة تقليدها , وعجز الجميع عن رسم نظير لها مما اشعرهم بالخيبة . . كان في اللوحة سحر خاص لا يمكن تقليده ابدا .

****

بعد الضجة التي احدثها معرض سامح ولوحاته خاصة لوحة سيلين والتي جعلته واحدا من اشهر الفنانين التشكيليين في العالم . . اعلنت الصحف اليومية في كل دول العالم ان اللوحة ستؤول الى صاحبها الملياردير سيزار . . وانتقلت اللوحة الى قصر سيزار وظلت تحت حراسة مشددة ليل نهار مع كافة التدابير الامنية من انذارات وكاميرات مراقبة ورجال امن على اعلى مستوى من الكفاءة , لان الجميع كانوا يتلهفون لاقتناء اللوحة وعرض الاف من مختلف الجنسيات على سيزار ان يشتروها بملايين العملات المختلفة ولكنه رفض ان يفرط في كنز ابداعي لا مثيل له . .
وبعد ان اصبح سامح ثريا بفضل لوحة سيلين ولوحات اخرى باعها , اقام حفل خطبته بسيلين والذي كان حفلا رائعا حضره كبار الشخصيات الهامة واصحاب النفوذ والصحفيين العالميين الذين استغلوا الحفل في التسابق حول اجراء حوارات مع سامح حول موهبته الفنية الفريدة من نوعها . .
وعرض عليه احد الصحفيين فكرة مدهشة . .
ان يقوم بالرسم اثناء الحفل ويقوم الصحفيين لاول مرة بتسجيل ما يفعله وعرضه على الهواء في القنوات الفضائية , وكاد سامح ان يرفض لولا ان سيلين نظرت اليه مشجعة فوافق على الفور وجهز ادواته الفنية استعدادا للرسم , وبدأ الصحفيين والاعلاميين يستعدون بكاميراتهم لتسجيل هذه الاحداث الرائعة لواحد من ابرع الفنانين في العالم .
واخذ سامح يفكر في موضوع اللوحة والجميع في الحفل ينظرون اليه بشغف وترقب .
وسأله احد الصحفيين فجأة : - هل حقا كما وصل الينا انت ترسم الاشياء من وحي خيالك ويكون لها وجود في الواقع ؟ وهل حدث هذا مع لوحة سيلين ؟
وضج المكان بهتافات الحاضرين يتساءلون ايضا فأكد لهم سامح ان هذا ما حدث معه بالفعل , فطالبه الجميع ان يفعل ذلك الان امام الجميع . . فوافق سامح وهنا اقترب منه راعيه الملياردير سيزار مشجعا له واخبره ان زوجته سوسن كانت تريد الحضور لرؤيته والتعرف عليه لكن المرض منعها . . فنظر اليه سامح فجأة وقال له : - انا ارى زوجتك الان في عقلي واستطيع ان ارسمها . . وتعالت هتافات الدهشة والتعجب وعلق سيزار قائلا : - ولكنك لم تشاهدها من قبل

في حياتك ابدا . . سامح : - لكنني اراها الان في عقلي ولأثبت لك سأرسم صورة لها . .
وارتفعت الاصوات اعلى واعلى من جموع الحاضرين بعد كلمات سامح الذي بدأ يرسم زوجة سيزار من وحي خياله . . وسيزار ينظر الى سامح حينا والى اللوحة التي يرسمها حينا اخر وعينيه تحمل نظرات متشككة . .

****

الفصل الحادي عشر

بعد ساعة من الرسم الذي كان وسط هذا الحضور الكبير من شخصيات كثيرة من مختلف الجنسيات والذي كان على الهواء مباشرة , انتهى سامح من لوحة السيدة زوجة الملياردير سيزار , والتي كانت مريضة في سريرها تتابع ما يحدث على شاشة التليفزيون ونهضت فجأة من سريرها واقتربت من التليفزيون عندما ركزت الكاميرات على اللوحة التي رسمها سامح لها وراحت تنظر غير مصدقة وكأنها في حلم . .
بينما كان سيزار يقف مذهولا وهو يرى بنفسه موهبة سامح الخارقة للطبيعة الذي رسم زوجته وقال : - مستحيل . . مستحيل , انها هي , انها زوجتي سوسن
واسرع يخرج محفظته من جيبه ويخرج منها صورة فوتوجرافية لزوجته ويعرضها امام الكاميرات التي اسرعت تلتقط لها الاف الصور . .
واحاط الجميع بسامح يهنئونه على موهبته الفريدة من نوعها . .
كان حفلا لا مثيل له . .
وحدثا اغرب من الخيال يراه الملايين في كل الدنيا .

****

مضت الايام بسامح بعد ذلك الحدث على خير ما يرام , واصبح ضيفا في كل البرامج التليفزيونية والقنوات الفضائية , واصبح مدعوا من كل بلاد العالم , وصار كثير الاسفار هو وسيلين يتنقلان في كل بلاد الدنيا . . ولم يعد سامح يمر بلحظات رعب او بأمور غير عادية منذ ان دخلت سيلين في حياته باستثناء عيني القطة السوداء التي تحولت الى عيني سيلين ولم تتغير وكلما يراها سامح يجدها على نفس الوضع وخشى ان يخبر سيلين بالامر حتى لا يعكر صفو شملهما . . ومع مرور الوقت على هذا النحو , واحتفاء جميع الناس به . بدأ سامح يشعر ان الامور صارت هادئة معه وابتعدت عنه شياطينه التي كانت ترعبه وبدأت نفسه تطمئن خاصة في وجود حبيبه قلبه في حياته والذي كان وجودها سببا في شهرته فهي جالبة حظه معها . .
وفي حدى المرات وهو مع سيلين في باريس العاصمة الفرنسية , بعد ان انتهى من احد معارضه الفنية وراح يتنزه مع سيلين وبينما هي تلتقط له الصور عند برج ايفيل كانت هناك قطة سوداء تقف خلفه عند البرج دون ان ينتبه حيث كان مرحا جدا ومتناسيا اي شيء اخر , وكلما كان يغير وضعه لتلتقط له سيلين صورا اخرى كانت القطة السوداء تتابعه في كل اوضاعه كأنها ظله . . هنا ضاقت سيلين ذرعا بها فراحت تشير اليها بيدها كي تبتعد عن مجال الكاميرا فنظر سامح خلفه بدهشة وانتفض عندما شاهد القطة السوداء الواقفة , فاقترب من

سيلين قائلا : - هل قمتِ بتصويرها معي ؟ . . قالت سيلين : - نعم دون ان اقصد فهي كانت تلاحقك باستمرار .
سامح : - هيا بنا من هنا سوف نغادر
سيلين : - الامر لا يستحق الغضب
سامح : - انا اتشائم من القطط السوداء , هيا بنا
وعندما قام سامح باستخراج الصور من الكاميرا كانت المفاجأة ان الصور خالية تماما من وجود القطة السوداء .
وفي يوم بعد ان عاد لتوة من احدى الدول الاوروبية اتصل به مستر سيزار فزعا وطلب منه ان يحضر اليه فورا لامر هام يتعلق بلوحة سيلين .
ودق قلب سامح في خوف شديد . . هل عاد الرعب من جديد ؟
وقالت له سيلين : - انت لم تسترح بعد من سفرك يا حبيبي , ما الذي يريده منك هذا الرجل ؟ هل هذا وقت مناسب ؟
سامح : - لا بأس يا حبيبتي , لابد ان اذهب , انتظريني لن اتأخر
قالت : - حسنا يا حبيبي , اذهب واحرص على نفسك
ورغم تعب السفر هرع مسرعا الى قصر مستر سيزار الذي استقبله وقد بدا عليه الارتباك الشديد هو وزوجته التي قالت لسامح وهي تصافحه : - سيد سامح مرحبا بك في قصرنا , شرفتنا . . كنت اريد ان التقي بك في ظروف افضل من هذه .
صافحها سامح وهو يقول : - لماذا ؟ ماذا حدث ؟ .
قبل ان تجيبه المرأة اسرع سيزار يرد قائلا : - لوحة سيلين يا استاذ سامح حدث فيها شيء لن تصدقه عيناك عندما تراه .
وقبل ان ينطق سامح متسائلا عما حدث للوحة اسرع سيزار يقول : - افضل ان ترى بنفسك ما حدث , لقد اصبح قصري مسكونا بسبب هذه اللوحة , حتى الشياطين لم يتركوها لشأنها .
كاد سامح يموت فضولا لمعرفة ما حدث للوحة ياترى , وقاده سيزار وزوجته الى الغرفة الكبيرة الفخمة جدا في الدور العلوي والتي بها اللوحة ونظم الامن والحراسة , ودخل سامح وقلبه يرتجف ليرى اللوحة . . ولم يكد ينظر حتى اتسعت عيناه برعب هو اضعاف اضعاف ما مر به من رعب . . شيء مذهل . . عبث شيطاني ولا شك . . او سحر من وراء الطبيعة
كانت لوحة سيلين كما رسمها سامح ليس بها اي تغيير سوى العينان . .
كانت العينان عينا القطة السوداء .

****

هنا تذكر سامح لوحة القطة وكيف تحولت الى عيني سيلين في اول يوم التقى فيه بها
امر عجيب . . ثم ها هي لوحة سيلين تصبح بعيني القطة . . هذا يعني ان سيلين لها علاقة بالامر ولكن كيف ؟ . . هل هذا يعني ان سيلين هي القطة والقطة هي سيلين ؟
لقد اعتاد ان تتنبأ لوحاته بامور مستقبلية فهل هذه نبؤة جديدة ؟
ولكن هل من المعقول ان تكون سيلين الانسانة التي عشقها شبحا او مخلوقا من العالم السفلي ؟
هل من المعقول ان تكون انسانة جسدها يسكنه الشياطين ؟
وقطع استرسال افكاره المخيفة وتساؤلاته صوت سيزار قائلا : - اين ذهبت يا فنان ؟

سامح : - لا شيء , كنت افكر فيما حدث
قالت الزوجة : - لن نسكن بعد الان في هذا القصر سوف نغادره
سيزار : - اجل ولكن علينا اولا ان نتخلص من هذه اللوحة الملعونة , ما رأيك يا سامح ؟
سامح وهو في شروده وافكاره : - اجل . .
سيزار : - اذن ماذا نفعل معها في رأيك ؟
سامح : - افضل حل هو احراقها
ضحك سيزار ضحكة عالية وشاركته زوجته , واحس سامح مع ضحكاتهما بالخوف منهما لا يدري لماذا , وعاد سيزار يقول : - هل تعتقد ان احراقها سيأتي بنتيجة ؟ ان الجان مخلوقون من النار اليس كذلك ؟
واحس سامح فجأة كأن الرجل وزوجته هما المخلوقان من الجان . . ولاحظ ملاحظة مخيفة كان هو الوحيد الذي يظهر ظله على جدار من جدران الغرفة ولا يوجد ظل لسيزار وزوجته وبرغم رعبه الشديد من هذه الملاحظة الا انه لم يظهر ايه انفعالات على وجهه وقرر ان يعتبر نفسه يتخيل من كثرة رعبه فمن غير المعقول ان يكون هناك شيء في الرجل وزوجته
ثم لاحظ سامح ملاحظة اخرى اكثر رعبا . .
شيء جديد تماما لاحظه في اللوحة من كثرة تحديقه فيها ولكن في انعكاس اللوحة في المرآه التي كانت في الخلف . . كان انعكاس اللوحة يظهرها في المرآه الكبيرة التي في الغرفة ولكن بشيء مختلف . .
لمح سامح في المرآه اسم ساخالاڤوس على اللوحة مكان توقيعه باسمه . .
وراح سامح يوزع نظره بين اللوحة وانعكاسها في المرآه . . واقترب مدققا في اللوحة ليجد توقيعه كما هو , ولكن عندما ينظر الى المرآه يجد اسم ساخالاڤوس بدلا من اسمه . . وقال لنفسه : - من غير المعقول ان يكون هذا تخيل , انها رسالة موجهة لي . لا يعلم احد عن ساخالاڤوس شيئا الا انا , هذا يعني ان هذه ليست لوحتي وانما لوحة ساخالاڤوس . . اي انها لوحة من العالم السفلي , وبالتالي هذا يعني ايضا ان سيلين تنتمي الى العالم السفلي او ربما تكون ساخالاڤوس . .
نعم لقد فسر اللغز الان . . سيلين ليست سوى جنية , لم يعد هناك شك في هذا . .
وهنا دخل سليم قائلا لسيزار : - عذرا مستر سيزار . .
سيزار : - ماذا هناك يا سليم ؟
ارتسمت على وجه سليم تعبيرات الخوف والاضطراب وهو ينقل بصره بين سامح وسيزار ثم قال : - لقد خُطفت سيلين يا سامح .
هتف سامح : - ماذا تقول ؟ غير معقول , متى وكيف حدث هذا ؟ ومن الذي خطفها ؟
سليم : - كنت ذاهبا لزيارتك في الڤيلا عندما لاحظت آثار عنف وكأن معركة دارت في الڤيلا كلها وذلك بعد ان وجدت الباب مكسورا فدخلت لاطمئن , وعرفت انها خُطفت من الورقة التي تركتها العصابة والتي يقولون فيها انهم يريدون لوحة سيلين مقابل الافراج عنها والا سيكون مصير سيلين مظلما . .
وسكت سليم مخرجا الورقة من جيبه وناولها لسامح الذي خطفها وراح يقرأ كل ما فيها ثم اخذها سيزار ونظر فيها . . وتبخرت استنتاجات سامح بشأن حقيقة طبيعة سيلين في الهواء . .
اذ انها مادامت خُطفت فهي انسانة عادية وليست من الجن لانها لو جنية لما تعرضت لاختطاف

من البشر . . وعاد سليم يقول : - ماذا ستفعل يا سامح ؟
سامح : - وهل هذا سؤال ؟ سنسلم لهم اللوحة فورا
قال له سيزار : - هل نسيت ما حدث للوحة ؟
قالها مشيرا الى اللوحة التي انتبه لها سليم لاول مرة منذ ان دخل وشاهد عيني القطة السوداء بدلا من عيني سيلين فصاح بكل دهشة : - يا شياطين الجحيم . . ما هذا الذي ارى ؟
سيزار : - انا الذي اسألك الان , ماذا ستفعل يا سامح , اللوحة لم تعد تصلح لمبادلتها بسيلين
قال سامح بهدوء : - هل نسيت يا مستر سيزار انني انا الذي رسم اللوحة ؟ وهذا يعني ان في امكاني اعادة رسمها من جديد بحيث تكون نسخة طبق الاصل من اللوحة التي اصابها العبث الشيطاني . سيزار : - ومتى تبدأ في رسمها ؟
سامح : - سأبدأ الان .

****

قرب الموعد المتفق عليه مع العصابة حضر سامح ومعه النسخة الثانية من لوحة سيلين والتي انجزها سريعا وان كان هذا لم يمنعه من اتقانها وحضر معه مستر سيزار وسليم ومجموعة الاصدقاء . . وظل الكل يترقب وصول مندوب العصابة الذي سيأخذ اللوحة ثم يستلمون سيلين بعد ذلك بدقائق عندما تفرج عنها العصابة وتأتي وحدها بعد ان يغادر مندوب العصابة كما في الخطة . . وهكذا ظل الكل ينتظر وهم غارقون في التوتر والقلق والدقائق تمر ببطء ممل حتى حان الموعد المتفق عليه , وظهرت سيارة سوداء امامهم ادركوا انها سيارة مندوب العصابة فاتجه اليها سامح وهو يحمل اللوحة , وفتح مندوب العصابة زجاج السيارة وخاطب سامح قائلا : - هل احضرت اللوحة ؟
مد له سامح يده باللوحة فاخذها المندوب واسرع يعطيها لرجل يجلس بجواره في المقعد الامامي من السيارة ملامحه اوروبيه ويرتدي نظارة سوداء تخفي وجهه فاخذها وراح يفحصها جيدا ثم اشار للمندوب بابهامه علامة الجودة اي ان اللوحة هي المطلوبة . . ونظر المندوب لسامح وقال له : - سوف تحضر خطيبتك بعد قليل وانطلق بعد كلمته بالسيارة كأنه يركب صاروخا
ومضت بضع دقائق ظهرت بعدها سيلين تقود سيارتها حتى وصلت اليهم واسرع سامح اليها بكل لهفة وحنين وشوق فغادرت السيارة على الفور وارتمت بين احضانه فضمها اليه وحولهما الجميع يحيطون بهما .

****

الفصل الثاني عشر

عاد سامح مع سيلين الى ڤيلته وجلسا سويا دون ان يتكلما في اي شيء ولا حتى فيما حدث لها وماذا فعلت مع العصابة واين كانت . . كل هذا لم يكن يعني سامح ليسأل عنه . . كل ما يهمه ان سيلين عادت اليه وهي الان تجلس معه . . وبعد برهة قال لها : - لن اتركك لحظة واحدة وحدك منذ الان يا حبيبتي
سيلين : - وانا لن افارقك لحظة واحدة يا حبيبي

سامح : - سوف تبيتين هنا معي لن اتركِ تذهبين ثيلتك
سيلين : - حسنا يا حبيبي كما تريد
سامح : - سوف تنامين في غرفتي بالدور العلوي , هيا اصعدي لتغيرين ملابسكِ وانا سوف آخذ (شاور) وآتي لكِ نتعشى سويا
اومأت برأسها وهي تبتسم ثم صعدت الى الدور العلوي , وقام سامح فدخل الحمام وامسك فرشاة الاسنان وظل واقفا امام المرآه يحدق في وجهه لحظات وفجأة . . اختفى انعكاسه من المرآه واصبحت المرآه خالية تماما كأنه غير موجود . .
جن جنون سامح وراح يخبط زجاج المرآه بيديه وينظر اكثر وهو لا يصدق عينيه كيف اختفى , وقبل ان يتخذ اي فعل ظهر انعكاس في المرآه التي كانت خالية . . انعكاس وجه . . وجه ازرق مخيف يطل عليه من المرآه كأنه يطل عليه من نافذة . . فتراجع سامح للوراء بعد ان فوجيء بهذا الوجه المرعب الشيطاني الذي رسمته يداه وجر عليه سلسلة الرعب هو ولوحة القطة , وعادت المرآه تخلو من اي انعكاس ثم عادت تعكس وجه سامح , فتنفس بعمق وابتلع ريقه واسرع يغادر الحمام مسرعا .ظل يهديء نفسه وينظم تنفسه المضطرب حتى هدأ , فدخل المطبخ حيث اعد العشاء لسيلين وحمله صاعدا الى الدور العلوي وطرق الباب قبل ان يدخل
فقالت سيلين : - تفضل يا حبيبي
ودخل مقدما لها العشاء وهو يبتسم قائلا : - العشاء يا حبيبتي , ووضعه على السرير وبينما هو منحنى هكذا قريبا منها لاحظ شيئا يراه لاول مرة على كتفها الايسر . .
فهو لاحظ ذلك لانها كانت ترتدي قميص نوم بلا اكمام ولهذا شاهد هذا الشيء . .
كان وشما مدقوقا على كتفها . .
وكان واضحا انه وشما يمثل قطة سوداء . .
واحس بالرعب وهو ينظر الى سيلين التي كانت تأكل بنهم شديد ثم قالت : - عندي فكرة مدهشة تخلصنا من هذا الجو الكئيب وتنسينا الموقف الذي حدث
قالتها وهي تنظر اليه كأنها تنومه مغناطيسيا بعينيها فغاص في العينين وهو يقول : - هاتِ ما عندكِ . .
قالت : - مارأيك ان نذهب سويا في نزهة الى الاسكندرية ؟ ان عندي شاليه على البحر , لماذا لا نقضي فيه بضعه ايام تنسينا ما مر بنا ؟
سامح : - فكرة رائعة يا حبيبتي
سيلين : - حسنا . . غدا نجهز انفسنا للرحلة
وغاص سامح في عينيها اكثر واكثر .

****

قضى سامح مع سيلين اسعد الاوقات في الشاليه على البحر في الاسكندرية , وكانت دهشة سامح وسعادته كبيرتين عندما اكتشف ان الشاليه في بقعة نائية على البحر وانهما بعيدين عن الانظار تماما كأنهما على جزيرة منعزلة فقالت له سيلين : - ما رأيك في هذا المكان الساحر ؟ ان البحر فيه ملك لنا وحدنا لا يشاركنا فيه احد . . قال : - وكيف عرفت هذا المكان النائي ؟
سيلين ضاحكة : - سر المهنة , ها ما رأيك ؟ . . ضحك بدوره وقال : - هذا المكان حقيقة يصلح ليكون ساحة لجريمة لا يكتشفها احد ، انه مكان مثالي لهذا

سيلين بغضب مرح : - هكذا ؟ . . وراحت تضربه بيديها عابثة وهو يضحك ويقول : - كنت امزح معكِ .
قالت وهي تنظر الى البحر : - بماذا تشعر وانت امام البحر ؟
سامح وهو ينظر الى البحر وامواجه بدوره : - اشعر بالانتماء
ابتسمت في فرح عندما قال هذا وسألته : - حقا ؟
سامح : - اجل , ربما السر في مياهه الزرقاء , لانني اعشق اللون الازرق كما تعلمين , كما ان البحر يجمع ما بين متناقضات , ففيه السحر والجمال والغموض والرهبة والخوف والمتعة
سيلين : - يقولون ان اسفل البحر بركان يؤدي الى العالم السفلي
سامح : - هذه هي المرة الاولى التي اسمع فيها هذا
سيلين بغموض عجيب : - هذا ما سمعته , يقولون ان البحر هو البوابة التي تؤدي الى مملكة الجان .
سامح : - قد يكون في كلامك بعض الحقيقة , فلقد سمعت عن اساطير جنية البحر وعن جان يسكنون في مياهه . . وابتسم وهو يغوص في عينيها التي بدت امامه بحر عميق قبل ان يقول : - تعرفين انك مثل جنية البحر . . لقد خطفتِ قلبي وعقلي
ضحكت سيلين في سعادة حقيقية وقالت بغموض وهي تنظر في عينيه بعمق : - اذن انت على الطريق الصحيح .
واستسلم سامح لنظراتها التي تسكره تماما .
وعند الغروب جلسا سويا على البلاج يستمتعان بمنظر غروب الشمس , المشهد المعروف لسقوط الشمس في مياه البحر ، وكان بالنسبة لسامح من اروع المشاهد الطبيعية الجميلة وكان معه ادوات الرسم فراح يستغلها في تسجيل هذه اللحظة الانطباعية وقالت له سيلين : - سأتركك لتنهي لوحتك وادخل لتجهيز العشاء .
وبينما بقي سامح يرسم المنظر الطبيعي فوجيء بشيء يظهر امامه في مياه البحر من بعيد , واراد ان يتأكد من حقيقة هذا الشيء الغامض فنادى سيلين لترى معه هذا الشيء ولكنه لم يتلق منها اي رد . . وحيث كان يجلس بكرسي البلاج موليا ظهره للشاليه فاستدار ليوصل صوته الى سيلين . .
وما ان التفت حتى ارتجف . .
لقد اختفى الشاليه تماما والشاليهات التي كانت بجواره واصبحت البقعة التي كان يجلس فيها على البحر خالية تماما .
وانحبس صوته داخل حنجرته واصيب برعشة شديدة وهو يجد نفسه على هذا النحو من الفراغ المحيط به . . وكان الشيء الغامض يتقدم منه ببطء عبر مياه البحر , فوجد نفسه بلا وعي ينزل مياه البحر متجها الى ذلك الشيء
وشيئا فشيئا بدأ يغوص في مياه البحر حتى مستوى صدره فراح يعوم ليقترب من الشيء المجهول الذي كان يقترب منه بدوره , حتى التقى الاثنان في نقطة داخل البحر
ورأى سامح الشيء الغريب . .
كانت لوحة كبيرة تعوم منتصبة كأنها شراع عملاق دون سفينة
وفي اللوحة كان الوجه الازرق
وكما حدث له من قبل عندما كاد يغرق في حمام السباحة شاهد احب وجه يتمنى ان يراه في هذا

الوقت
وجه سحر تقفز خلفه في مياه البحر
واظلمت الدنيا بعدها في وجهه
وغاص في مياه البحر .

****

الخاتمة

لما استفاق سامح من اغمائه وجد نفسه في سريره بغرفة نومه بالڤيلا , كان كل شيء حوله هادئا وكان الوقت نهارا فقال لنفسه : - ياه . . هل كان كل هذا كابوسا مرعبا ؟ انا لا اصدق كل ما مر بي من هلوسة وانا نائم
ونهض من سريره وهو يشعر بالنشاط , وبدا سعيدا عندما ادرك انه كان في حلم كابوسي وانتهى منه اخيرا باستيقاظه . . وبدا خفيفا رشيقا كأن حملا ثقيلا ازيل من على كتفيه , وراح يغير ملابسه وهو يصفر في سعادة واحس انه يريد ان يضم الشوارع ويقبل الطرقات والناس والدواب , كان مبتهجا لاكتشافه انه استيقظ اخيرا من كابوس مرعب ظنه حقيقة لا فرار منها , وادرك ان كل هذا حدث له بسبب رسمه للوحة القطة السوداء اللعينة مما تسبب له بعدها في رؤيته لهذا الكابوس الذي كان فيه . . ومع الارتياح النفسي العميق الذي انتابه بعد استيقاظه هذا عرف انه تحرر اخيرا من الوهم الذي كان اسيره وقرر ان لا تكون موضوعاته في الرسم لها صلة باي شيء مرعب ، سيبتعد عن اي شيء يثير رعبه حتى لا يتكرر مثل هذا الكابوس الذي كان درسا قاسيا له . . لن يرسم بعد ذلك الا كل ما هو جميل ويفيض بالحياة والوداعة , ان رسم الجمال وتخليده في الفن واللوحات هو الاثر الباقي الذي يدوم ويديم الجمال والرقة والبهاء والصفاء النفسي والروحي في الحياة .
وبدأ يحسد نفسه على جماليات الحياة والطبيعة الانسانية وان الجمال في كل ما حولنا ومن حولنا ولكن لا ننتبه له وهو ما كان بحاجة اليه ليسجله في لوحاته لا موضوعات مرعبة تجر عليه اهوالا كابوسية بغيضة . . حتى ان الجمال ينبع من انفسنا , وفي كل لحظة تمر علينا نفيض جمالا انسانيا ونحن لا نشعر ولا نقدر ما في انفسنا من جمال . . كل هذا بدأ يدركه سامح لاول مرة ويلوم نفسه الف مرة لانه ضيع على نفسه لحظات الجمال بهذا الكابوس
وهكذا انتهت واحدة من اكثر الرحلات الكابوسية التي مر بها سامح
وقال لنفسه بعد ان تأنق : - هيا يا سامح اخرج واستمتع بحياتك وبانسانيتك وبكل ما هو جميل , انسانيتك هي نبع الجمال والاحساس والاستمتاع به
واسرع ينزل درجات سلم الدور العلوي
ولم يكد ينهي اخر درجة ويصبح في صالة الڤيلا حتى اتسعت عيناه ولم يعد قادرا على التقاط انفاسه . .
لقد كان يظن انه في حلم كابوسي واستيقظ منه على خير فاذا به يجد الكابوس يتجسد امامه من جديد . . وبكل من كانوا فيه . .
كان يجلس في الصالة سحر ومجموعة الاصدقاء ومستر سيزار وساندي فتاة الديسكو وسيلين
اذن لم يكن ما مر به كابوسا وانما واقع مرعب مازال يعيش فيه

ووقفت سيلين بلهفة واتجهت اليه قائلة : - هل عدت لحقيقتك يا حبيبي ؟
سامح : - حقيقتي ؟ اي حقيقة ؟ انا لا افهم شيئا وما سبب تجمعكم كلكم هنا ؟
هزت سيلين رأسها بأسف لحاله وهي تنظر للجميع ونطق سيزار قائلا : - اذن استمري في الخطة
سيلين مشيرة اليهم : - دعونا وحدنا
ولم تكد تنطق بكلمتها حتى اختفى جميع من في المكان ولم يبق الا سيلين , تبخر الجميع في الهواء كأنهم سحروا فزاد اتساع عين سامح وقال : - ما هذا ؟ هل انت ساحرة ام جنية ام ماذا بالضبط ؟
سيلين : - سأخبرك بكل شيء , فقد آن الاوان ان استمر في الخطة
نظر اليها سامح وصاح : - هيا تكلمي ماذا تنتظرين وعن اي خطط تتحدثين ؟ تكلمي ايتها اللعينة .
قالت : - حبيبي , انظر اليّ جيدا , انت لست من تتصوره هيا تذكر معي حقيقة نفسك . . انت لست سامح . . انت ساخالاڤوس
صرخ فيها سامح : - ما هذا الكلام الفارغ اهي لعبة جديدة ؟ كفى مزاحا يا سيلين
سيلين : - انا لا امزح هذه هي الحقيقة . . انت ساخالاڤوس , مخلوق من العالم السفلي , من عشائر الجن وانا زوجتك , ونحن جميعا من الجن الازرق . . نحن فرقة من العالم السفلي , فرقة من الجحيم , جئنا الى الارض في مهمة سرية تدميرية على الارض بتكليف من مولانا عزازيل .
وتذكر سامح على الفور اسم عزازيل . . انه اسم ابليس
واكملت سيلين : - ونحن الفرقة 13 وانت كنت العنصر التاسع في الفرقة , ولكنك فقدت الذاكرة قبل ان نقوم بالمهمة المكلفين بها , ولما فقدت الذاكرة اصبحت تتصور انك بشر لا من الجن الازرق , ولاننا لدينا القدرة على ان نتشكل في اي جسد حدث لك عندما فقدت الذاكرة وانت بجسد بشري صرت تتصور انك بشر وتحيا كأنك بشر ناسيا تماما حقيقة جنسك الاصلي
ومع كلمات سيلين بدأ عقل سامح يرتج وتأتيه ذكريات عشوائية عن كونه من عالم الجن وبدأ يدرك انه ساخالاڤوس بالفعل لكنه صاح فيها : - لكنني اخترت ان اكون انسانا , ولن ارجع لكم ابدا , انا سعيد بكوني بشر
سيلين : - لابد ان ترجع لطبيعتك يا ساخالاڤوس حتى نبدأ مهمتنا , لقد قمنا بخطتنا معك ورحنا نصنع لك كل الحيل التي كنت تراها من تحول اللوحات والامور الشيطانية حتى ترجع لطبيعتك بالتدريج وتسترد ذاكرتك المفقودة , ارجع يا حبيبي لصوابك . . لا مفر من ان تعيش حقيقتك , انت من نسلنا , ووجودك عنصر اساسي في تنفيذ مهمتنا وبدونك نحن متعطلون
سامح : - لقد اخترت ان اكون انسانا وانتهى الامر وطريقكم غير طريقي
قالها واتجه ناحية الباب مغادرا فصرخت فيه سيلين : - لن تستطيع التخلص منا مهما حاولت حتى لو بقيت بشريا فنحن نحيط بالبشر من كل جانب وفي كل وقت , سنظل معك مهما تحولت الى اي عنصر اخر غير حقيقتك يا ساخالاڤوس , ان كل اختياراتك للون الازرق ولون عينيك تؤكد انك مازلت تنتمي الى جنسنا الجن الازرق وانك ستعود الى حقيقتك مهما طال الزمن
واستمر ساخالاڤوس يمشي مبتعدا عنها حتى غادر القيلا . . وظل يمشي ويمشي وهو لا يصدق ان يتضح له في النهاية كونه مخلوق من الجن الازرق , وتذكر عشقه للون الازرق , هذا هو

السبب اذن . . لكنه اختار ان يكون انسانا كما اخبر سيلين . .
ظل يسير على غير هدى حتى وجد نفسه امام معرض من معارض اللوحات الفنية فدخل وهو في قمة الاندهاش والتعجب ان وصل الى هذا المكان وادرك انها لابد حيلة جديدة من فرقة الجحيم التي كان منها . . وشاهد بين رواد المعرض فتاة ذات شعر اسود جميل مسترسل على ظهرها تقف امام لوحة من اللوحات مرسوم بها قطة سوداء تشاهدها باستغراق كامل ولما اقترب منها وجدها سيلين وقد اختفى شعرها الاشقر واصبح اسودا فصاح : - انتِ ثانية ؟ قلت لكِ ابتعدي عني .
فالتفتت اليه الفتاة بدهشة وقالت : - ماذا هناك ؟ من انت ؟ هل اعرفك من قبل ؟
قال لها : - كفاك لعبا يا سيلين
قالت الفتاة : - سيلين من ايها الشاب ؟ انا اسمي سالي
قال : - ماذا تقولين ؟
الفتاة : - نعم يا سيدي , اؤكد لك انني سالي طالبة في كلية الفنون الجميلة
احس ساخالاڤوس انها تقول الصدق فقال معتذرا : - انا اسف يا آنسة , سامحيني , لقد تصورتك واحدة اخرى اعرفها .
سالي : - ما هي حكايتك بالضبط ؟
قال : - لن تصدقي , ولكن سوف اخبركِ
وراح يروي لها كل حكايته منذ ان بدأت حتى الان وهي تنظر اليه في تعجب ودهشة وخوف حتى انتهى فقالت : - لست ادري ماذا اقول لك , اشعر انك صادق في كل كلمة ولكن لا استطيع ان اصدق مسألة كونك من الجان , هذا مستحيل
كانت الفتاة تحمل بعض ادوات الرسم وبينها قاطع من الذي يستخدم في تقطيع الاوراق فألتقطه ساخالاڤوس منها وامسكه ثم مد يده به اليها قائلا : - اريدك ان تتأكدي الان
قالت سالي : - ماذا تعني , وكيف تريدني ان اتأكد ؟
قال : - قومي بجرحي بهذا القاطع , فاذا نزل دم اكون بشرا , اريد ان اتأكد من حقيقتي انا ايضا وتناولت سالي القاطع ومد هو اليها اصبعه السبابة للامام , ووقفت الفتاة حائرة ما بين خوفها ودهشتها . . ثم حسمت الامر وجرحت اصبعه وسالت الدماء منه على الارض , وظلت تسيل وتسيل حتى تحولت الى بركة من الدماء , ظلت تتحول وتتشكل من اللون الاحمر الى البرتقالي الى الازرق . .
حتى ظهر منها وجه لونه ازرق راح يتشكل ويتشكل ويتكون تدريجيا على الارض .

النهاية

خارج الاطار : اللوحة تقفز من اطارها التقليدي
وتحلق في سماء الخيال بلا اطار محدد

السيد الجندي

كان موقفا مرعبا بكل المقاييس .

القطة تسلط عينيها المرعبتين على سامح وسامح يقف متجمدا من فرط الرعب كأنه نوم مغناطيسيا من عيني القطة وبدأ يشعر ان الفيلا بكل محتوياتها تدور به , وظن لوهلة انه في وهم كبير فدعك عينيه وعاود النظر من جديد .. كانت القطة مازالت واقفة تنظر اليه وخطر له خاطر سريع .. مد يده التي كانت قريبة من حامل الرسم ورفع الغطاء عن لوحة القطة التي كان قد رسمها منذ قليل . .

وزاد رعبه , وازداد الموقف كله رعبا عندما نظر الى اللوحة فلم يجد القطة بها كانت اللوحة فارغة تماما كأنه لم يرسم عليها اي شيء

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo,
o=www.looloolibrary.com, ou,
=l=looloo@looloolibrary.co
..., c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٢.٢٢ ١٩:٣٢:٣١ +٠٢'٠٠'